

# سورية

لوحة الفسيفساء الساحرة

## الإخراج الضوئي: سعاد الشيخة



سادهنا شانكر و داينبشوار

تأليف:

موايه

فواز أحمد زعور

تعريب:

سورية  
لوحة الفسيفساء الساحرة

منشورات اتحاد الكتاب العرب  
دمشق - ٢٠٠٥

---



**الصور بعدسة المؤلفين**

**صورة الغلاف الداخلي الأمامي بعدسة هيثم الكواكي**

## الإهداء

إلى والدينا الأحباء  
مالتى شانكر مانوهار مولييه  
غاوري شانكر أكاتاي مولييه





## نبذة عن المؤلفين

لقد أسهمت سادھنا شانكر بالكتابة إلى العديد من الصحف والمجلات المحلية والدولية. فيما يخص سورية، فقد كتبت لـ هيرالد تريبون الدولية وتايمز أوف إنديا وهندوستان تايمز وايكونوميك بوليتيكال ويكلي وفيمينيا ورايزنغ سيريا وسيريا توداي وكلنا شركاء في الوطن. كما عملت مضيئة ومعدة برامج في التلفزيون الوطني في الهند وأسهمت كذلك في العديد من البرامج التلفزيونية. وهي حائزة على درجة الماجستير في علم الاقتصاد من جامعة بوكوهاما الوطنية في اليابان وجالت على العديد من بلدان العالم، وهي تعكف حالياً على كتابة إحدى الروايات، كما أنها موظفة بمرتبة عالية في وزارة المالية الهندية.

لقد نشر داينيشوار موليه العديد من المؤلفات النثرية والشعرية بالعديد من اللغات، ومنها لغات الأوردو والهندي والماراثي. كما أنه يسهم بصورة دورية بالكتابة للعديد من الصحف والمجلات الأدبية. ونظراً لكونه يتكلم اليابانية بطلاقة، فقد أنجز بحثاً حول الشعر الياباني والماراثي. لقد أضفت أسفاره الكثيرة نكهة متميزة على كتاباته وهو يوثق إقاماته المؤقتة من خلال عشقه للتصوير. فقد أقام أيضاً معارض فردية لصوره الفوتوغرافية في موسكو وطوكيو ودلهي، وهو ممثل دبلوماسي عريق للهند عمل في موسكو وطوكيو وبورت لويس ودمشق.

هذا الكتاب هو أول عمل مشترك ينجزه المؤلفان الزوجان. للمؤلفين ثلاثة أطفال.

dmulay@hotmail.com  
sadhna99@hotmail.com





## كلمة المؤلفين

عندما قال لنا أحد الأشخاص في دمشق لأول مرة "ما في مشكلة"، تملكنا شعور بالتيه والابتهاج، لقد كانت هذه الكلمات هي ما فهمناه كونها كانت تستخدم في بلدنا أيضاً. مع ذلك، فقد كان من بواعث دهشتنا اكتشافنا أنها تعني "لا" في بلدنا، بينما هنا تعني "لا يوجد مشكلة". لقد كانت رحلتنا إلى سورية بمجملها منذ قدومنا إلى هذا البلد قبل حوالي سنتين رحلة اكتشاف وإلهام.

عندما تم تحديد سورية على أنها مكان الإيفاد الدبلوماسي التالي بالنسبة لنا، تملكنا مشاعر مختلطة من الخوف والترقب. خلافاً لكافة الصور المشوهة، فقد أزاحت رحلتنا إلى سورية أمامنا الستار عن لوحة فائتة. إنها بلد آسر بحق بشعب ودود مضياف وشخصية متميزة تبادت لنا ملامحها من خلال العديد من الحضارات التي وجدت جذورها هنا.

يمثل هذا الكتاب محاولة منا لإعطاء العالم صورة أوضح عن سورية. لقد تعرفنا من خلال المشاعر والتجارب التي تتخطى أطر التاريخ إلى طبيعة الحياة المعاصرة لسورية بكل جمالها وروعيتها. إنه عرفان منا بالجميل لشعب سورية الرائع.

لم يكن يتسنى لهذا الكتاب أن يظهر إلى حيز الوجود لولا التوجيه الكريم والدعم النشط من قبل سعادة السيد عارف خان سفير الهند إلى سورية والذي أحاطنا برعايته المخلصة وتشجيعه الصادق لنا على المضي قدماً في هذا العمل.

لقد أبدى اتحاد الكتاب العرب ممثلاً برئيسه السابق السيد الدكتور علي عقلة عرسان ورئيسه الجديد الدكتور حسين جمعة اهتماماً كبيراً بمضمون الكتاب وقدموا لنا كل الدعم لنشره.

السيد فواز أحمد زعرور قام بترجمة الكتاب من الإنكليزية إلى العربية بقدر كبير من الحماس والعناية بأدق التفاصيل.

السيد هراير مرادبان وزوجته ماري والسيد مهراي خونده وزوجته مها، قنصلا الهند الفخريان، كان لنا مصدر عون وإلهام في كل مرحلة من مراحل العمل. السيد هيثم الكواكبي - معلمنا السوري لمادة اللغة العربية فتح أمامنا أبواب الثقافة السورية واللغة العربية.

بفتحهم لنا لقلوبهم وأفئدتهم، كان أصدقائنا السوريون بمثابة سبب ومبرر الوجود لهذا الكتاب.

السيد أيمن عبد النور وزوجته دينا والدكتور نزار فرح والسيد صادق رستم والآنسة  
جهينة عيسى والآنسة لنا موسى.

بعض الأصدقاء الآخرين الذي تعرفنا إليهم في دمشق أسهموا أيضاً في توسيع نطاق  
معارفنا عن سورية. جوشوا لاندس وزوجته منار وأندرو تابلر وناريندر شارما وأجمال  
خيبري ومامتا كوماري.

شكرنا الخاص أيضاً لكافة زملائنا في سفارة الهند بدمشق على تعاونهم.  
شكرنا الخالص لوزارة الخارجية الهندية للوقت القيم الذي أمضيته في هذا البلد الساحر.

سادهنا ودانيشوامر

دمشق - أيار ٢٠٠٥



## أهلاً وسهلاً: رحلة في أنحاء سورية

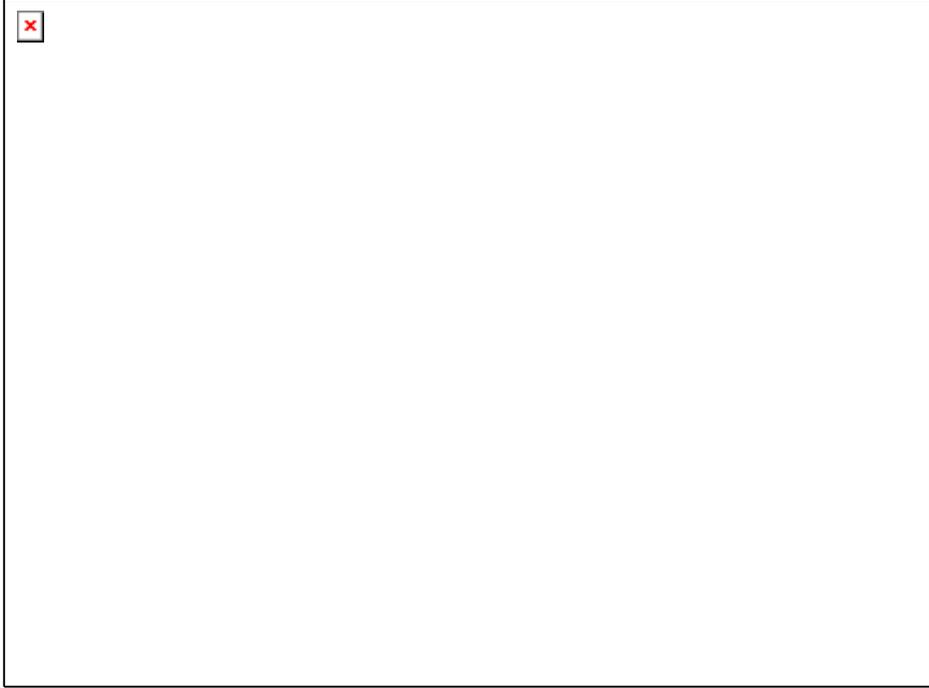
كنا قد ضللنا طريقنا عبر وادي بردى ونحن نبحث عن بلدة صغيرة تدعى "جديدة" على ضفاف بردى والتي تبعد ٢٥ كيلومتراً عن مدينة دمشق. بعد جولة من اللف والدوران لأكثر من ساعة، توقفنا في وسط الوادي والنهر الصغير يتدفق بالقرب منا بموازية ما بدا على أنه سكة حديد ضيقة منسية منذ زمن بعيد. توقفت بالقرب منا سيارة قادمة من الاتجاه المعاكس، واستوضح صاحبها الذي أثار استغرابه وجود هذه الوجوه الهندية الغربية المنهكة في هذا المكان المنعزل منا بإنكليزية لا تشوبها شائبة إن كنا بحاجة لأي مساعدة. قدمنا له ورقة عليها عنوان ورقم هاتف مضيفنا المنتظر الدكتور نزار الفرا. انبرى هذا الغريب على الفور إلى امتشاق هاتفه الخليوي وطلب رقم الدكتور نزار والتعرف إلى الموقع المطلوب. ثم أوضح لنا العنوان بل ودونه على ورقة بالعربية. شعرنا بالارتياح والامتنان و الدهشة بأن معاً. فأنى لأى غريب في مكان مهجور أن يجد في أي مكان آخر في العالم من يتوقف ليمد له يد المساعدة؟ مع ذلك، فهذا يحدث في سورية مرة بعد مرة بعد مرة.

شكرنا منقذنا بإطناب. ابتسم وسأل: "الهند؟". وأومأنا له بالإيجاب. ارتسمت على محياہ ابتسامة عريضة وهو يقول "أهلاً وسهلاً" ثم غادرنا وغاب عن أنظارنا عند منعطف الوادي. لا يوجد تعبير في سورية أكثر شيوعاً من "أهلاً وسهلاً" والتي تعني حرفياً "welcome" بالإنكليزية. مع ذلك، فهاتان الكلمتان في الحقيقة تجسدان في داخلنا روح السوريين وتاريخهم وثقافتهم وحضارتهم وحياتهم اليومية. عندما يتلفظ السوريون بهاتين الكلمتين الرخيمتين - ويمكن أن يكون ذلك في أي مكان - في المحال التجارية أو أثناء عبور الشارع أو في الحديقة العامة أو في البيت - يمكن للمرء أن يلحظ انعكاس الكلمة في وجوههم الباسمة. الأهم من ذلك أنهم فعلاً يعنون ما يقولون.

سورية - لم نكن نعرف عن هذا البلد سوى القليل عندما قدمنا إلى هنا. "سورية؟ هل هي "سيراليون أم سيبيريا؟" ذلك كان السؤال الملح عندما عرف الناس بأمر سفرنا الوشيك إلى سورية. أما بالنسبة للعارفين بهذا الاسم، فكانوا على دراية بالجانب الآخر فقط من الحكاية. "هذا يعني أنكم الهدف التالي بعد العراق" - كان الجانب الآخر لمفهومهم عن سورية.

ما اكتشفناه في سورية كان أمراً لا يصدق. أرض تموج بالسحر، حضارة عريقة، آثار هائلة مذهلة، غابات تبعث السكينة في النفوس، طبيعة نقية وهواء عليل، قلاع مهيبه، كنائس

روحية، طرق مقدسة، تنوع يحير الألباب وشعب ودود مضياف. سورية هي ذلك الكنز الغامض الحصين وسط هذا المحيط الهادر من الفوضى التي تميز عالمنا التجاري والمادي المعاصر. إنها تمكنك من إبطاء وتيرة خطاك قياساً إلى خطى نيويورك ولندن وطوكيو وتتغلغل بداخلك بصمت تغلغل الحضارات بعضها ببعض عبر أكثر من ٥٠٠٠ عام هنا في سورية.



عجالات الزمن — نواعير حماه.

التاريخ في سورية ليس قصة الماضي. بوجود الأردن جنوباً وفلسطين والمتوسط غرباً وتركيا شمالاً والعراق شرقاً، يغدو التاريخ مسألة أحداث تجري يوماً بيوم. حيثما كنت في سورية، ليس عليك سوى أن تتلفت حولك لتطل على مآثر من مآثر التاريخ. معظم المكتشفات في مجال الزراعة والاقتصاد والحياة الاجتماعية للبشرية تمت في هذا الجزء من العالم. أول زراعة قمح، أول أبجدية مكتوبة وأول نوتة موسيقية مدونة انطلقت من هذه الأرض. عبر طرق القوافل والطرق الرومانية وطرق الحجيج الوعرة والطرق القديمة جعل التاريخ من سورية موطنه الأبدي. شرقاً أو غرباً، شمالاً أو جنوباً، تجد مكان لقاء مناسب في سورية. منذ فجر العصر البرونزي الأول شهدت سورية إمبراطوريات متعددة تقفز من حيز المكان إلى حيز القلب. من الفينيقيين القدماء إلى الرومان فالبيزنطيين ثم العثمانيين، فإن الاستحواذ على سورية كان أمراً أساسياً لأي قوة تطمح للتحكم بمفاصل التاريخ. سواء في دمشق أو حلب، في اللاذقية أو دير الزور، الحضارات في صحبة ثابتة في سورية.



الشارع المستقيم الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس.

حالما تغادر العاصمة دمشق، تطالعك اللوحة السورية بالعديد من المفاجآت.



بردى... شريان الحياة لمدينة دمشق.

الحزام الزراعي الأخضر بين حماة وحلب هو أول ما يبدر رتابة المشهد الجاف للصحراء نصف القاحلة. بالاتجاه شمال اللاذقية على امتداد الساحل اللازوردي للبحر الأبيض المتوسط تطالعك المسالك الجبلية بغاباتها الخضراء اليانعة التي تفر العين وتبهج النفس. سلوك الطريق نحو بلدة كسب على الحدود السورية- التركية عبر واد مزهر أخضر أو النزول في أحد المنتجعات الشاطئية سيمحو من مخيلتك صور الأسواق المزدهمة والحارات الضيقة والجسور والتجمعات السكنية المكتظة على تخوم المدن السورية المتنامية. بفضل أساليب الري الحديثة والعصرية باتت مناطق أكثر في أنحاء سورية تكتسي حلة خضراء. الاتجاه من دمشق إلى بصرى أو من حماه إلى أفاميا في قلب سورية الزراعية، يبتعد بك تماماً عن مشهد الصحراء الكبرى لوسط وشرق سورية.



- أهلاً وسهلاً -

وجود الماء أمر ضروري لنشوء الحضارات. نهر بردى الذي ينبع بالقرب من دمشق ما برح يشكل مصدر الحياة لسكانها منذ أقدم العصور. يبدو بأن دمشق تخبئ طبقات من المدن في أحضانها. المدينة القديمة بجامعها الأموي الشهير، وكنائسها العريقة ومنها الإنجيلية ومصلى القديس بولص - تشكل نافذة تطل من خلالها على مشاهد خلت لأيام ولت وانقضت. المناطق الجديدة مثل المزة وأبو رمانة ويعفور هي مناطق غنية بأبنيتها العصرية الفخمة. جانب رئيسي من المدينة متعلق بجبل قاسيون تعلق الطفل بحضن أمه. دمشق آخذة بالانتماء من كل الجهات، فخورة بكونها أقدم عاصمة قديمة حية باستمرار.

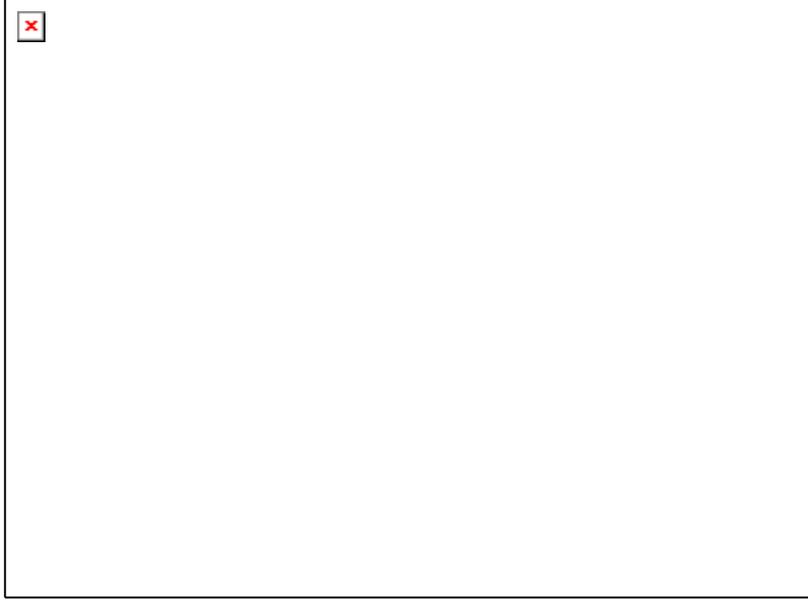


- جبال معلولا الوعرة -

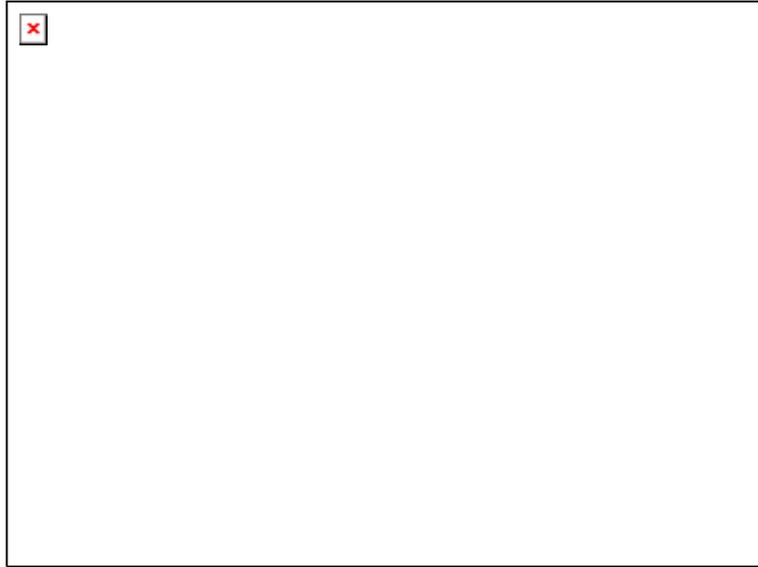


- فن الخط.. تراث غني من الإبداع -

حلب، مدينة أخرى ذات عراقة عظيمة لا تزال تستمد عظمتها من مياه نهر الفرات الأسطوري. إنها مدينة ساحرة ، وجزء منها أعلنته منظمة اليونسكو عن جدارة واستحقاق موقعاً تاريخياً بامتياز . أسواقها القديمة تشتهر بالمجوهرات والصناعات اليدوية والألبسة.



- سد الفرات... الطاقة للجميع -



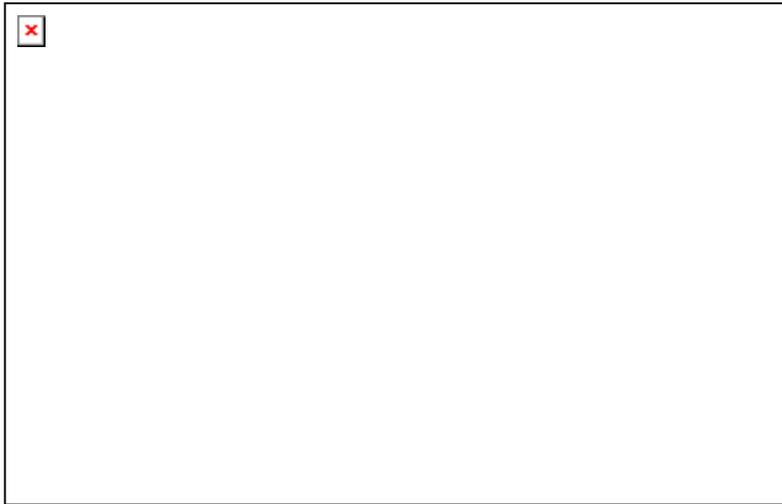
- الأزياء التقليدية -

أعظم مقدرات سورية هو شعبها. سمات محددة بوضوح ، بشرة جميلة فاتحة و عيون ملونة عديدة - شعب لبق حلو الشمائل إلى أبعد الحدود. على الرغم من شيوع ارتداء الحجاب وانتشار العباة ، نجد أن السوريين يحبون الموضة وهم متحررون في أنماط لباسهم. المسلمون من كافة الطوائف و المسيحيون من كل الطوائف يتعايشون بسلام. الناس متدينون على نطاق واسع، يشهد على ذلك العدد الكبير من المساجد الفخمة المتقنة الصنع التي ترصع المشهد. مع ذلك، فهم أيضاً فخورون بهويتهم الثقافية والعرقية والدينية المتعددة. سورية بلد علماني بلا أية ديانة للدولة.



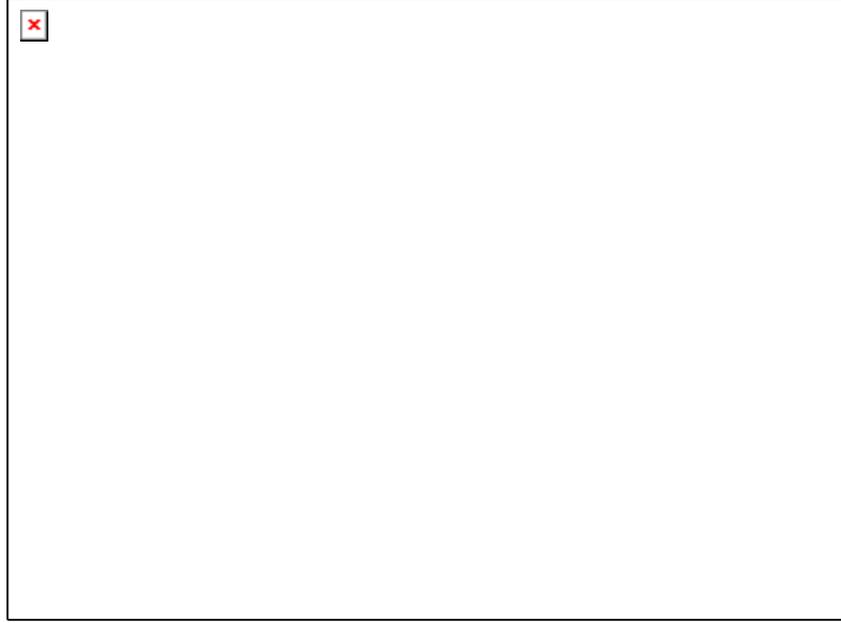
- الجوامع... صروح مهيبية في سورية -

الناس مغرمون بالتجمع في المطاعم الكبيرة أو ببساطة في الحدائق العامة وعلى جوانب الطرق. وإذا ما صادف وكنت عابر سبيل، فكن مستعداً لمشاطرتهم بعضاً من ضيافتهم. في أفاميا، وبينما كنا نتجول عبر الآثار القديمة، دُعينا من قبل أسرة ريفية لمشاركتهم الوجبات الخفيفة والشاي الحلو. لقد عرفوا أيضاً كيف يتخطوا حاجز اللغة بالنبرة الطوية لـ "أهلاً وسهلاً". على ضفاف بحيرة زرزر، خارج دمشق، مئات العائلات تحتشد أيام العطل وفي أماسي الصيف. لدى إحساسهم أننا أجانب، كل عائلة نمر بها تقدم لنا الموالح أو الحلوى أو الشاي. هذا النوع من الود والكرم نادراً ما يصادفه المرء هذه الأيام أثناء تجواله في أنحاء العالم.



- وجوه جميلة من سورية -

السوريون فخورون بلغتهم وتاريخهم وثقافتهم. العربية هي وسيلة التعليم لكل المستويات. الكثير من الناس أيضاً يتحدثون الإنكليزية و/أو الفرنسية. النسبة الإجمالية للمتعلمين تبلغ ٧٦.٩%. إجمالي الناتج المحلي يتنامى بثبات وكذلك المؤشرات الصحية والاجتماعية. إنتاج القمح تضاعف ثلاث مرات تقريباً خلال العقود الثلاث الأخيرة.



- قلعة صلاح الدين... حارس الزمن الأمين -

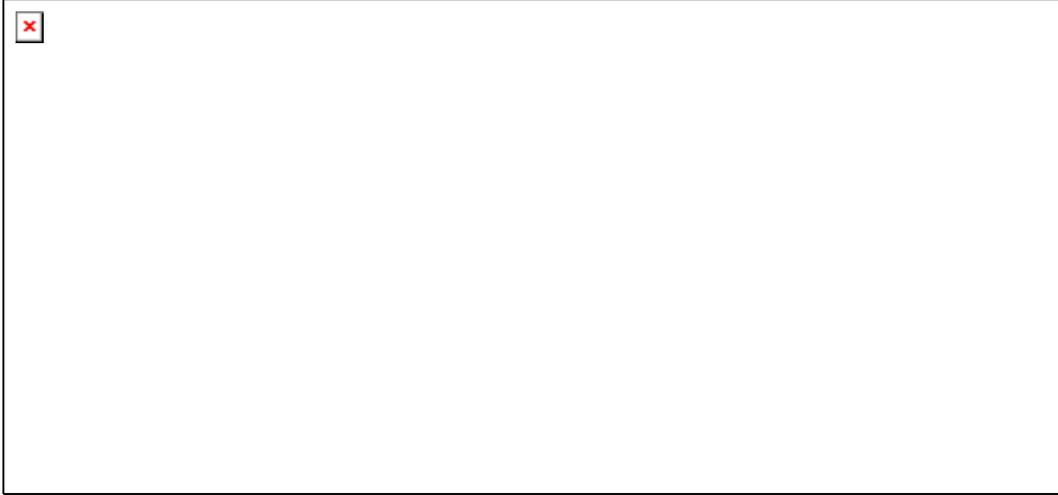
والسلع الزراعية مثل الزيتون والقمح والفواكه والأزهار... الخ، يجري تصديرها. ما أبعد دمشق بخضرتها المذهلة عن كونها مدينة صحراوية.



– الزيتون... رمز العطاء الأبدى –

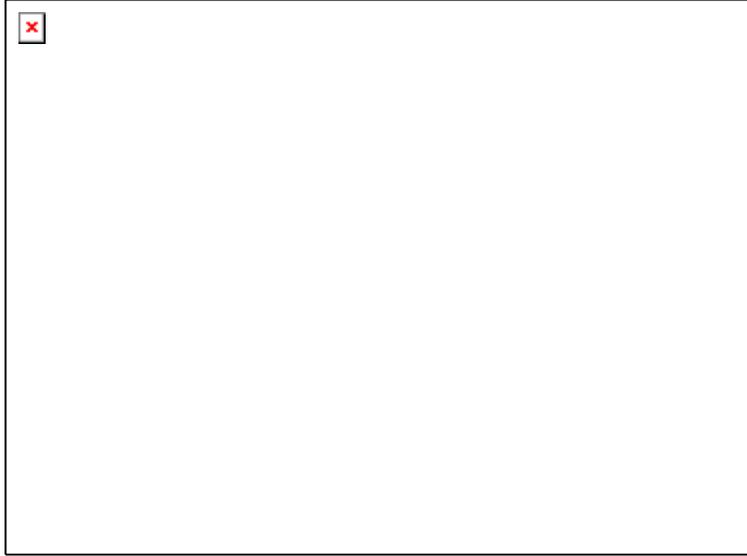
سورية الآن هي في طور الانفتاح. الإذاعات الخاصة والمجلات الخاصة والجامعات الخاصة والمصارف الخاصة قد بدأت بالعمل. بيئتها الاستثمارية آخذة بالتحسن وروابطها مع بقية بلدان العالم يجري تعزيزها. السوريون فخورون بلغتهم وتاريخهم وثقافتهم. إنها أمة متحولة بشعب مغامر مكافح محب للسلام.

على صعيد توقعنا للأخبار – فإننا لا نجد ذكراً لسورية في حياتنا التي تهيمن عليها ال "بي بي سي" و "سي إن إن". وعندما يرد مثل هذا الذكر يكون بمعظمة في سياق العقوبات الأمريكية، الحرب على العراق، الصراع العربي- الإسرائيلي أو قرارات الأمم المتحدة. مع ذلك، فإن التشويهات الإعلامية يمكن أن تكون مجافية للحقيقة إلى حد بعيد في سورية. إنها آمنة إلى حد لا يصدق ومكان هادئ للعيش فيه. بوجود الثلوج والأمطار والحرارة والصحراء والأنهار الرائعة والشواطئ اللازوردية والأودية الخضراء الخصبة، فإن سورية تقدم تنوعاً يربك العقول.



- جمال الطبيعة في سورية -

بمجرد اجتيازك لحواجز تحاملك الذاتي، كن مستعداً لتذوق سورية بالطريقة التي تذوق بها الرحالة الأندلسي "ابن جبير" دمشق في القرن الثاني عشر.  
"إن كان ثمة من فردوس على هذه الأرض فإنه بلا شك دمشق، ولكن إن كان هذا الفردوس في السماء فدمشق نظيره على الأرض." ونذكر بأن دمشق هي مجرد بوابة الدخول إلى سورية، بلاد "أهلاً وسهلاً".



- ملامسة الحضارة على ضفاف الفرات -





## الأرض والتاريخ -

### تنوع وعراقة

"بلد صحراوي"، "امتدادات من الرمال" - عندما طبعنا كلمة "سورية" في عمود البحث، برزت أمامنا هاتان العبارتان على شاشة الإنترنت. قدمنا إلى هنا حاملين الانطباع عن "الصحراء السورية الكبرى". من دروس حول بلاد الرافدين كنا قد درسناها في كتب المدرسة. كان صباحاً مشمساً مشرقاً من أحد أيام تشرين الثاني عندما قدمنا إلى هنا. أول ما صادفناه كان الريح الباردة التي تهب في وجوهنا. شمس دمشق الساطعة لم تفعل شيئاً لإبعاد تلك البرودة، وكانت تلك أول الكليشات التي انهارت. في سورية يغدو الجو بارداً جداً في الشتاء. صباح أحد أيام كانون الأول استيقظنا على ملاءة بيضاء تغطي كل ما حولنا. لقد ادتت دمشق بعباءة تلجئة ناصعة - المدارس أُغلقت والمكاتب استقبلت موظفيها على فترات متقطعة طوال اليوم! دمشق تحت الثلج لم تكن أبداً في دنيا الخيال قبل قدومنا إلى هنا. منذ بداية إقامتنا اكتشفنا بأن الكليشات المقولبة والتشويهاات المتعمدة تنقلب باستمرار هنا. "بلاد الشام" أو "سورية الكبرى" كانت تشكل منطقة واسعة تشمل سورية الحالية والأردن ولبنان وفلسطين. كانت مملكة عربية قبل وقت طويل من ارتباط العرب بالإسلام. قبل أن تصبح عاصمة للعالم الإسلامي تحت الحكم الأموي كانت دمشق على مدى ما يقرب من ١٥٠٠ سنة تتحدث وتكتب اللغة الآرامية وهي سلف العربية المعاصرة. هنالك خيط ناظم من الثقافة واللغة والتاريخ العربي يوحد البلاد وشعبها. مقابل هذه الوحدة هنالك التنوع الطبيعي لهذا البلد بدءاً من الساحل حتى الجبال والسهوب والصحراء، هذه هي أرض التنوع الطبيعي العظيم. سورية تتغير كل بضعة كيلومترات، مع بقائها على حالها.

## مشهد متنوع:

خارطة البلاد تتميز بخطوط مستقيمة منتظمة رسمتها القوى الاستعمارية المغادرة موجدةً بلداً أشبه بالإسفين مغروزاً في خاصرة غرب آسيا. تمثل هذه الخطوط بلداً فيه جبال وشاطئ وسهول وصحراء. مساحة البلاد صغيرة - ١٨٠.٠٠٠ كيلومتر مربع، لكن جغرافيتها ترسم مشهداً أسراً متغيراً على الدوام.

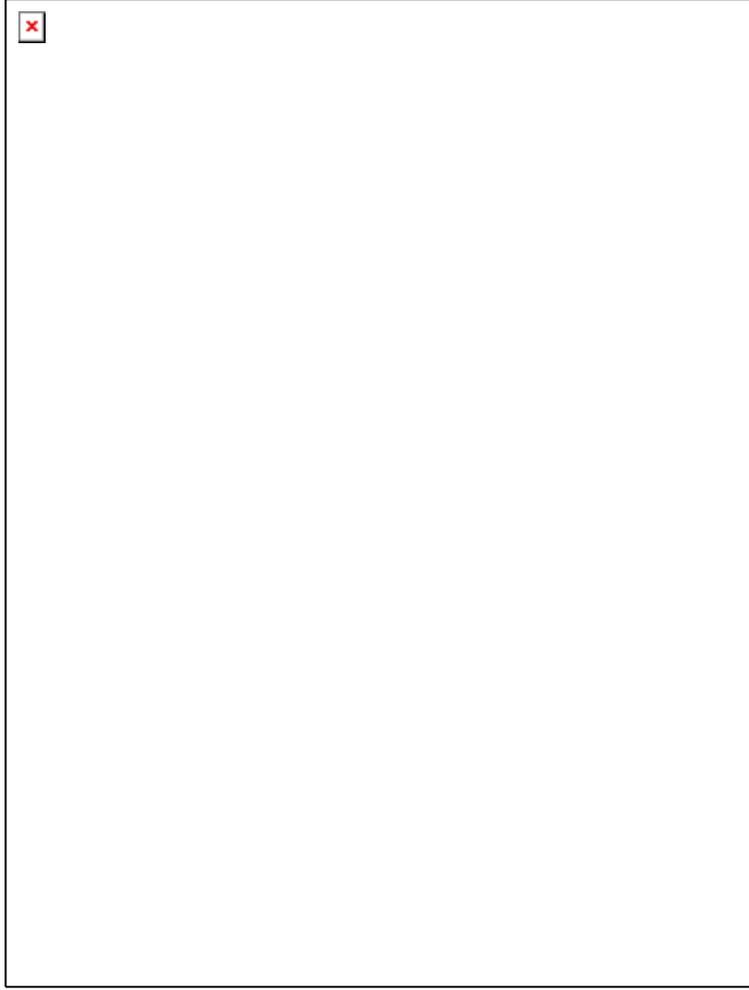
على بعد ٤٠ كيلومتراً من دمشق تقع الحدود مع لبنان. هنا تمتد سلسلة جبال لبنان الشرقية. أعلى قممها تبقى مكللة بالثلوج على مدار العام، وهي تدعى "جبل الشيخ" بالعربية وجبل "حرمون" في الكتاب المقدس. هذه الأيام وضعت قوات الفصل التابعة للأمم المتحدة (أندوف) أعلى مركز لها فوق جبل حرمون، و يمتد أسفل السلسلة خط الفصل بين سورية وإسرائيل في مرتفعات الجولان المحتلة عبر منطقة صخرية وعرة.

## الخط الساحلي:

دمشق مدينة الجادات المشجرة والحدائق والنوافير. قالوا لنا بأن الصحراء يمكن تتشكل إذا ما تركت المدينة للإهمال. إحدى الرحلات التي قمنا بها اتجهت بنا شمالاً نحو ساحل المتوسط الذي يشكل شريطاً ساحلياً قصيراً نسبياً بطول ١٨٠ كيلومتر ممتد بين تركيا ولبنان. بعد قطعنا لبضعة كيلومترات أسفل الطريق الدولية وجدنا أنفسنا محاطين بالحقول والخضرة. الطريق من دمشق إلى الساحل هو جزء من الهلال الخصيب الكبير لسورية. المنطقة باتجاه مدينتي طرطوس واللاذقية الساحليتين هي في الواقع أرض تغطيها أشجار الزيتون والبساتين المثمرة و التي هي نتاج زراعة متقدمة في هذا البلد.

مساحات شاسعة من البيوت الخضراء وبساتين الفاكهة تمتد حتى مياه المتوسط الزرقاء اللازوردية.

في فصل الصيف تزدحم الشواطئ بالمصطافين، وعطلة نهاية الأسبوع على شاطئ البحر هي أمر لا بد منه بالنسبة لمعظم العائلات. المنتجات الشاطئية في سورية مثل رأس البسيط شمال اللاذقية هي منتجات ساحرة جداً، كونها لم توضع بعد بكاملها قيد الاستثمار التجاري. المدن الساحلية تمتاز بشوارعها العريضة وأبنيتها متعددة الطوابق وهوائها البحري العليل، وهي تشكل ملاذاً عظيماً من حر دمشق في فصل الصيف. في طريق العودة، توقفنا لتأمل إحدى بيارات البرتقال التي تموج بالثمار الذهبية الزاهية بالقرب من الطريق. وسرعان ما تقدم منا رجلاً ودعيانا لإلقاء نظرة من الداخل. اللغة لم تشكل يوماً عائقاً في سورية لأن الروح المضيفة ليست بحاجة لأي لغة. بينما كنا نهم بالمغادرة قدموا لنا عشرات الثمار المقطوفة حديثاً والنقطة لنا صورة جماعية أيضاً!.



#### - ضيافة البرتقال قرب اللاذقية -

للساحل السوري سلسلة جبال أخرى تدعى جبال اللاذقية (النصيرية سابقاً) تمتد شامخة بلا انقطاع من الشاطئ شمالاً باتجاه الجنوب. إنها سلسلة ليست بالكبيرة، لكنها تشكل موقعاً للعديد من المنتجعات الجبلية الصغيرة والجزابة التي تعج بالمصطافين أيام الصيف الفائضة. الجبال الساحلية السورية توفر للعrsان الفرصة لقضاء شهر العسل في أحضان الخضرة والهواء العليل. المدن الصغيرة والجزابة مثل صلففة ومشتى الحلو تعد من المصايف الشعبية الذائعة الصيت وهي تشع بنظافة لا تصدق. إلى جانب الفنادق النظامية، هنالك العشرات من الشقق المفروشة تدعى "شاليهات" للإيجار. هنالك أماكن إقامة تناسب كل دخل وكل نمط حياة.



- الأزرق الفسح في رأس البسط -

الرحلة عبر سلسلة الجبال الساحلية باتجاه مدينة حلب شمالاً أو الحدود التركية هي رحلة خلافة أسرة. هناك الغابات الياقة والأزهار الجميلة والجدول والبحيرات على امتداد الطريق الضيقة المتعرجة وإنما الجميلة والممهدة. هناك عادة مسجد كبير أو كنيسة فريدة وسط كل واحدة من التجمعات السكانية الصغيرة على طول الطريق.



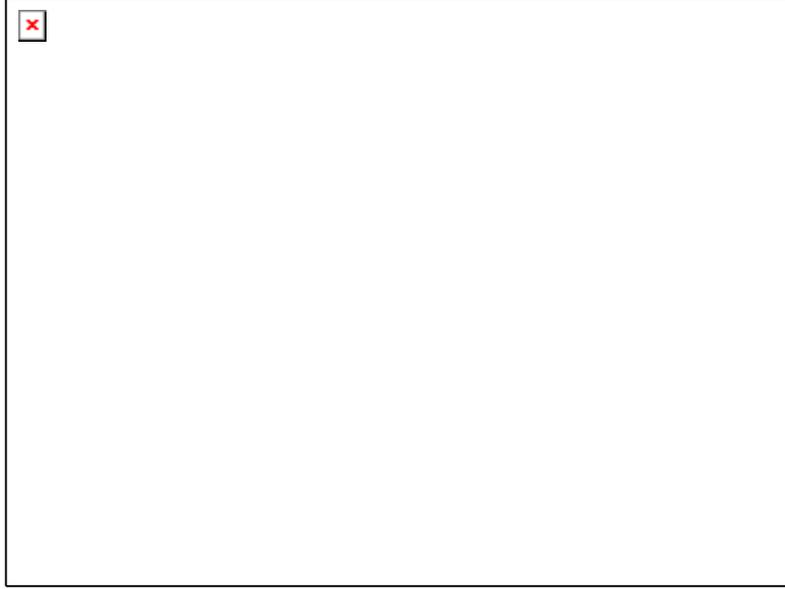
- يحمل التاريخ في مجراه... نهر الفرات - دير الزور -

بعكس سكان المدينة، يرتدي سكان الريف ملابس ملونة زاهية. من حلب إلى دمشق ومن ثم جنوباً، ومن هناك إلى بصرى نجد بأن الأرض هي أرض زراعية. أساليب الري الحديثة أدت إلى استصلاح مساحات واسعة من الأرض، ما جعل من سورية في الحقيقة لوحة خضراء رائعة وهلالاً سورياً خصيباً يطوق جيد الصحراء السورية.

## الصحراء الشرقية الكبرى:

الصحراء لا تزال تحيرنا، ولكن ليس لوقت طويل، كونها تشكل حوالي ٥٨% من الأرض السورية. السهول المتموجة، التي غالباً ما تدعى بالسهوب، تتميز بارتفاعها المتقارب عن سطح البحر والذي يتراوح بين ٩٨٠-١٦٤٠ قدم؛ وهي نادراً ما تقل عن ٨٢٠ قدم فوق سطح البحر. المنطقة ليست صحراء رملية، وإنما منطقة تتميز بالصخور والسهوب الحصوية؛ الواحة الرئيسية لهذه الصحراء كانت ولا تزال مدينة تدمر الغامضة والتي تحار العقول في كنهها. لقد كنا في طريقنا إليها عندما مررنا بالصحراء السورية الصخرية. على امتداد تلك الصحراء الوعرة وعلى كلا جانبي الطريق، كانت أنواع شتى من الطحالب والأشنيات قد بدأت بالتفتح. تجمعات عرضية من الأراهير الحمراء المتألقة كانت تلوح لنا بين الفينة والأخرى متمائلة مع نسيم الصحراء المنعش. رفيقنا العالم الدكتور (ساكسينا) من إيكاردا (المركز الدولي للأبحاث الزراعية في المناطق الجافة - حلب) كان قد أطلعنا على حقيقة أن البذور يمكن أن تبقى هاجعة في تربة الصحراء لبضع سنوات قبل أن تفتح. كمية معينة من المطر هي كل ما تحتاجه لإزالة عوائق نشاطها - بعدها بإمكانها أن تزهر وتفتح وتكمل دورتها الحياتية. بما أن

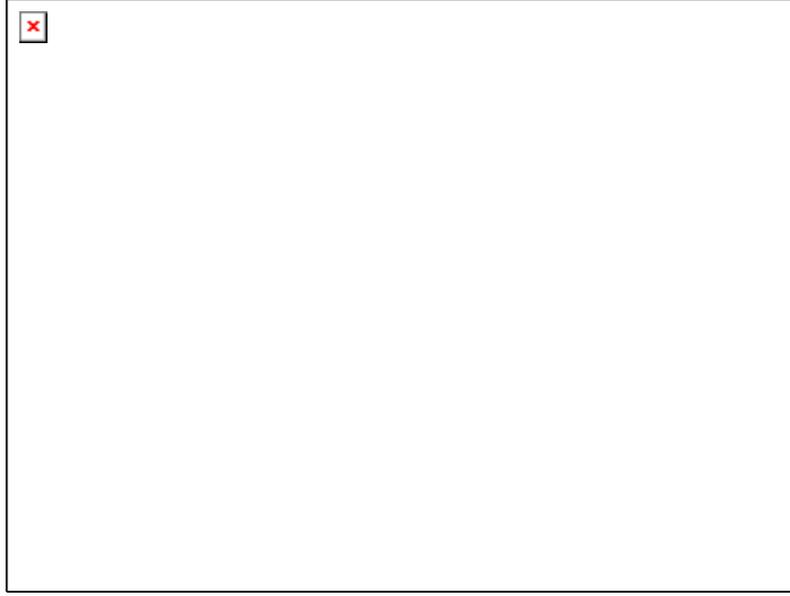
موسم الأمطار كان وفيراً هذا العام، فقد اكتست الصحراء بحلة قشبية من الخضرة زينت إهاب الصخور والرمال.



– مضارب البدو في الصحراء –

إلى جانب غطائها النباتي الرقيق الزاهي، يزين الصحراء أيضاً هنا وهناك على امتداد الطريق مضارب البدو الرحل وقطعان ماشيتهم. يمكن للمرء أن يلمح خيامهم على البعد وكأنها شريط من الخطوط السوداء على لوحة الصحراء. غالباً ما تلاحظ سيارة بيك آب مركونة في الجوار! كثير من البدو هذه الأيام بات لديهم مساكن في المدن وهم ميسورون مادياً تماماً. إن خضرة أشجار بساتين تدمر تسر العين.

تفاخر تدمر ببعض من أفخر التمور التي تناولناها هنا. أثناء تجوالك عبر سوقها الصغير بوسعك تذوق ما شئت من التمور في أي دكان.



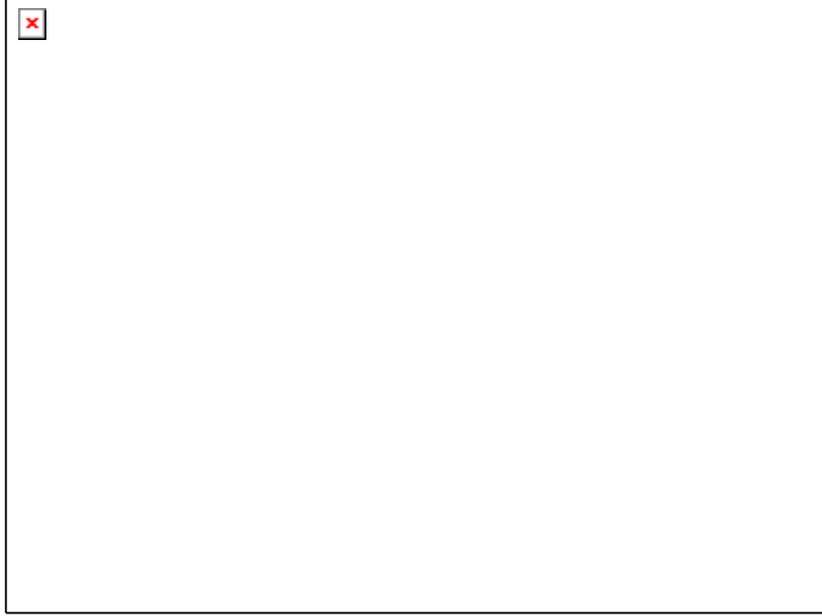
- موسم التمور في تدمر -

الصحراء تمتد شرقاً من تدمر باتجاه البادية. أميال وأميال من السهوب الصخرية تبدأ بالاختضار كلما اقتربنا من مدينة دير الزور التي تبعد ٦٠٠ كيلومتر عن دمشق. إنها المدينة الرئيسية على ضفاف الفرات العظيم الذي يمور بحكايا التاريخ والميثولوجيا المتدفقة مع مياهه. في سورية يتوزع النهر بشكل رائع وهو يتعرج عبر المنطقة الشرقية مزوداً إياها باحتياجاتها الماسة من الماء. إنه كان وسيبقى مصدر الحياة والأمل، وبخاصة بعد بناء السد العظيم. في المساء تهب النسائم العليقة في دير الزور حيث تعد النزهة المسائية على ضفاف النهر سيرا على الأقدام تجربة في غاية الروعة. المدينة ليست مزدحمة والنهر ينطلق بسرعة للاتحاد برفيقه دجلة في العراق. من خلال جريانه يستطيع المرء أن يتتبع عقب التاريخ الطويل لهذا الجزء من العالم.

## ماضٍ متعدد الجوانب:

قبل خمسة آلاف سنة بدأ أول ارتحال تدريجي للعموريين من الصحراء العربية إلى هذه المنطقة. كان ذلك هو العهد الذي شيّدت فيه القصور العظيمة في ماري المجاورة. حوالي ٢٥٠٠ قبل الميلاد ظهر هنالك القائد العظيم ساراجون الأكادي (Saragon of Akkad) الذي حكم المنطقة على مدى خمسين عاماً وتمثلت أهمية حكمه في أن التاريخ القديم يقسم عادة إلى ما (قبل) وما (بعد) حقبة ساراجون. اللغة السامية هي أساس اللغات الأكادية والآشورية والبابلية والفينيقية والآرامية والعبرية والعربية. خلال هذه الحقبة تم صنع الأسلحة من البرونز وجرى اختراع القوس والعربة الحربية ذات العجلتين.

الموجة الثانية من الهجرات العربية التي قدمت من سورية كانت هجرة الكنعانيين، الذين قدموا مع بداية الألفية الثانية قبل الميلاد وسرعان ما عرفوا بالفينيقيين (تجار الأرجوان). إمبراطوريتهم كانت إمبراطورية بحرية.



#### - باب الصغير.. حلقة اتصال مع الماضي -

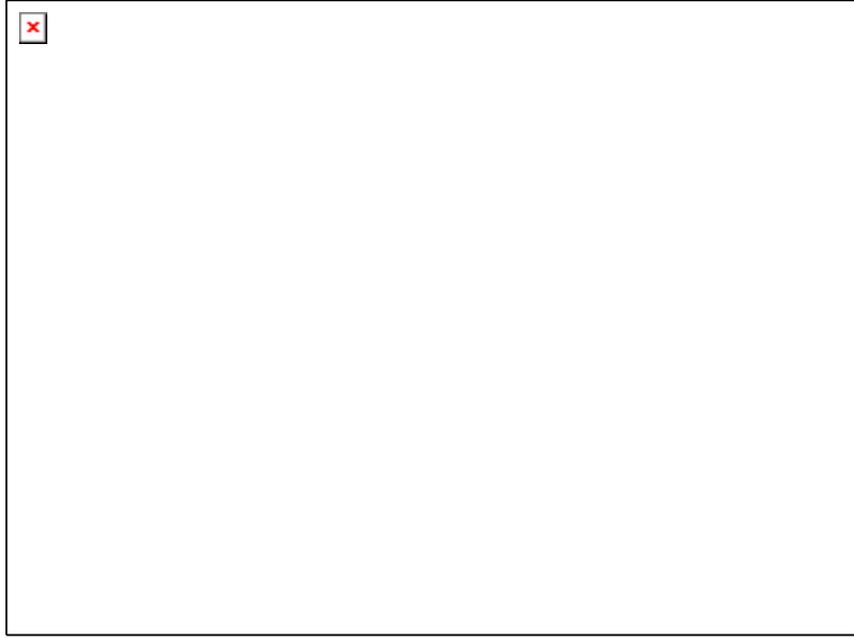
في هذا الوقت أصبحت صناعة التعدين أكثر رقياً. العلاقات مع فراعنة مصر العظام كانت على شكل تحالفات غير ثابتة. ثم بدأ الحثيون غاراتهم على المنطقة وجرى خوض حروب كبرى على هذه الأرض. الفترة ١٦٠٠-١٢٠٠ قبل الميلاد شهدت أيضاً نشوء مملكة أوغاريت، أم أول أبجدية مكتوبة في العالم. المسيينيون (نسبة إلى مدينة مسيني جنوب اليونان) أخذوا هذه الأبجدية معهم إلى اليونان القديمة. وفي هذه الفترة أيضاً قاد نبي الله موسى بني إسرائيل خارج مصر واستقروا في فلسطين.

شعب بحري غامض دحر الحثيين حوالي ١٢٠٠ قبل الميلاد. حوالي ١٥٠٠ قبل الميلاد ارتحل الآراميون إلى هذا الجزء من العالم. لغتهم الآرامية استخدمت من قبل السيد المسيح بعد ألف عام، ولا تزال تستخدم في بعض المناطق حول دمشق وفي الكنائس الأرثوذكسية السريانية ورعاياها. حوالي عام ٨٠٠ قبل الميلاد تسلمت الإمبراطورية الآشورية مقاليد الأمور، وعلى مدى قرنين من الزمن أقاموا على إدارة سورية ولبنان. عام ٦١٢ قبل الميلاد سقطت الإمبراطورية الآشورية في أيدي البابليين مع عاصمتها نينوى، والتي سقطت بدورها في أيدي الفرس عام ٥٣٩ قبل الميلاد. المستعمرات والأقاليم الفارسية كانت جيدة التحصين والحكم والإدارة، وكانت جميعها مرتبطة ببعضها البعض من خلال شبكة فاعلة من الطرق.

مرة أخرى أصبحت سورية ميداناً للمعارك عندما انطلق الإسكندر الأكبر لينتقم لشرف اليونانيين. لقد شكلت هزيمة داريوس الفارسي على يد الإسكندر بداية الحكم الغربي لسورية. الحضارة الهلينية وحدت ما بين الثقافتين الغربية والشرقية، إنما في ظل نظام اليونان وتحت إشرافهم. بعد وفاة الإسكندر، جرى تقسيم سورية الكبرى إلى إمبراطوريتين، إحداهما تحت حكم بطليموس والأخرى تحت حكم سلوقس.

سورية المعاصرة وقعت تحت حكم السلوقيين (Seleucids) الذين أنشأوا أفاميا كقاعدة عسكرية لقواتهم مستخدمين اللاذقية كميناء رئيسي لهم. عام ٣٣٣ قبل الميلاد حوالي نهاية السيطرة الإغريقية قدم العرب الأنباط من الجنوب، بينما قدم الرومان من الشمال.

على الرغم من إبقاء الجنوب تحت السيطرة النبطية، أخضع الرومان وقائدهم بومبي معظم أرجاء سورية لسيطرتهم. في ظل روما، شهدت الزراعة والحضارة السورية قدراً هائلاً من التطور وبفضل شبكة الطرق عالية التنظيم أمكن للتجارة أن تزدهر ازدهاراً عظيماً. لقد شهدت هذه الفترة أوج ازدهار مملكة تدمر العظيمة في ظل قيادة الملكة زنوبيا التي فتحت معظم أرجاء مصر وآسيا الصغرى، لكنها هزمت على يد الرومان عام ٢٧٢ للميلاد.



#### - كاتدرائية القديس سمعان الرائعة -

خلال هذه الفترة، كانت المسيحية آخذة بالانتشار بقوة عبر الإمبراطورية. في عام ٣٢٤ ميلادي تسلم قسطنطين الأكبر مقاليد الحكم من ديوقليسيان وسمى القسطنطينية (استنبول) عاصمة له. تحت حكم قسطنطين - الذي اعتنق المسيحية - بدأت المسيحية بالازدهار في ظل الرعاية الملكية وجعل الإمبراطور ثيودوسيوس المسيحية الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية. هذا التحول في العقيدة وانتقال العاصمة الرومانية من روما إلى القسطنطينية شكل بداية الإمبراطورية البيزنطية الجديدة التي كانت مزيجاً من الثقافة الإغريقية والمسيحية. لقد كان خلال هذه الفترة عندما قام شخص يدعى شاؤول (القديس بولس فيما بعد) صانع الخيام بالهروب عبر الطريق المستقيم في دمشق لاتباع السيد المسيح. هنالك العديد من الآثار والمدن المنسية شمال سورية التي تعكس مدى العبقرية المعمارية لتلك الأيام. لقد حافظت المسيحية على نفوذها ومكانتها على مدى ثلاثة قرون تقريباً.

الهروب إلى العظمة – القديس بولس.



في ٣٠ آب عام ٦٣٦، بعد ثلاث سنوات من وفاة الرسول محمد (ص) اتحد جيشان عربيان في دمشق وهزما الإمبراطور هرقل على ضفاف اليرموك. كان الإسلام قد وصل إلى قلب سورية وآذن بنهاية الإمبراطورية البيزنطية. بدأ الخلفاء أو أمراء المؤمنين مرحلة حكمهم

الطويل من دمشق. لقد شهدت الفترة حتى تشكيل الخلافة الأموية انتشاراً سريعاً للإسلام في المنطقة.

كما تم انتخاب خليفة لمحمد (ص). في عام ٦٦١، تسلم الأمويون مقاليد الحكم في دمشق التي أصبحت عاصمة الخلافة الإسلامية. بسط الأمويون سيطرتهم على منطقة تمتد من الأندلس في إسبانية حتى نهر الإندوس في الهند. أظهر الأمويون تسامحاً مع العقيدة المسيحية وشجعوا الثقافة والعلوم. في عام ٧٥٠ م أسس العباس الخلافة العباسية في بغداد.

شهدت سورية قدراً من الإهمال خلال العصر العباسي وأصبحت بغداد عاصمة الخلافة. بعد حكم هارون الرشيد، استولى الفاطميون على جنوب دمشق عام ٩٧٨ بينما حكم الحمدانيون حلب خلال القرن العاشر والحادي عشر. هذا التفتت للعالم الإسلامي هيباً الفرصة للعالم المسيحي لشن أولى الحملات الصليبية، وكانت حرباً دامت على مدى قرنين من الزمن.

لدى وصولهم إلى سورية عام ١١٠٨ بقيادة ريموند دوسانت جيل، كونت تولوز، شق الصليبيون طريقهم عبر وادي العاصي نحو موقع يعرف اليوم بقلعة الحصن، ومنها انطلقوا للاستيلاء على القدس. تشكل القلاع والحصون التي بنيت خلال هذين القرنين بعضاً من أروع أماكن الاضطياف الجديرة بالزيارة في سورية اليوم.

أدى سقوط القدس إلى اضطرابات كبيرة في العالم الإسلامي وجرت محاولات متكررة بدءاً من العام ١١١٠ فما بعد لتحرير الأماكن المقدسة والأقاليم المحتلة. في ٢٥ كانون أول من ذلك العام تم الاستيلاء مجدداً على أديسا Edessa وحرر السلطان نور الدين أجزاءً من حلب. الحملة الصليبية الثانية وصلت من فرنسا وألمانيا، لكنها عجزت عن استعادة أديسا أو دمشق. خلال فترة حكمه التي امتدت من ١١٤٦ - ١١٧٤ خاض نور الدين عدة معارك ضد الصليبيين وأرسل حملة بقيادة الشاب الكردي شيركو لتحرير مصر. بعد تحرير مصر عام ١١٦٩، توفي شيركو وخلفه ابن أخيه يوسف.

بعد وقت طويل وجد الإسلام قائداً له مرةً أخرى في الشاب الكردي صلاح الدين الذي عاد إلى دمشق بعد وفاة نور الدين وحارب الصليبيين بلا هوادة ونجح في استعادة القدس وعكا وصيدا وبيروت عام ١١٨٧. كما خاض العديد من المعارك ضد قائد الحملة الصليبية الثالثة، ريتشارد قلب الأسد. مع ذلك، فقد كان على التحرير الشامل للبلاد الإسلامية أن يتريث لقرن آخر.



## السمو والشموخ والعظمة – تمثال صلاح الدين – قلعة دمشق

بدأ المغول بغزو سورية وانحازت الدولة البيزنطية إلى جانب الحشود الغازية. في عام ١٢٦٠، كان المماليك قد تسلموا مقاليد السلطة في القاهرة ودحروا المغول وجرى توحيد سورية ومصر تحت قيادتهم خلال القرنين والنصف التالية. بعد قرون من النزاعات، شهدت هذه البلاد قدراً من السلام، لكن خطراً داهماً جديداً بدأ يلوح في الأفق مع قدوم العثمانيين الأتراك.

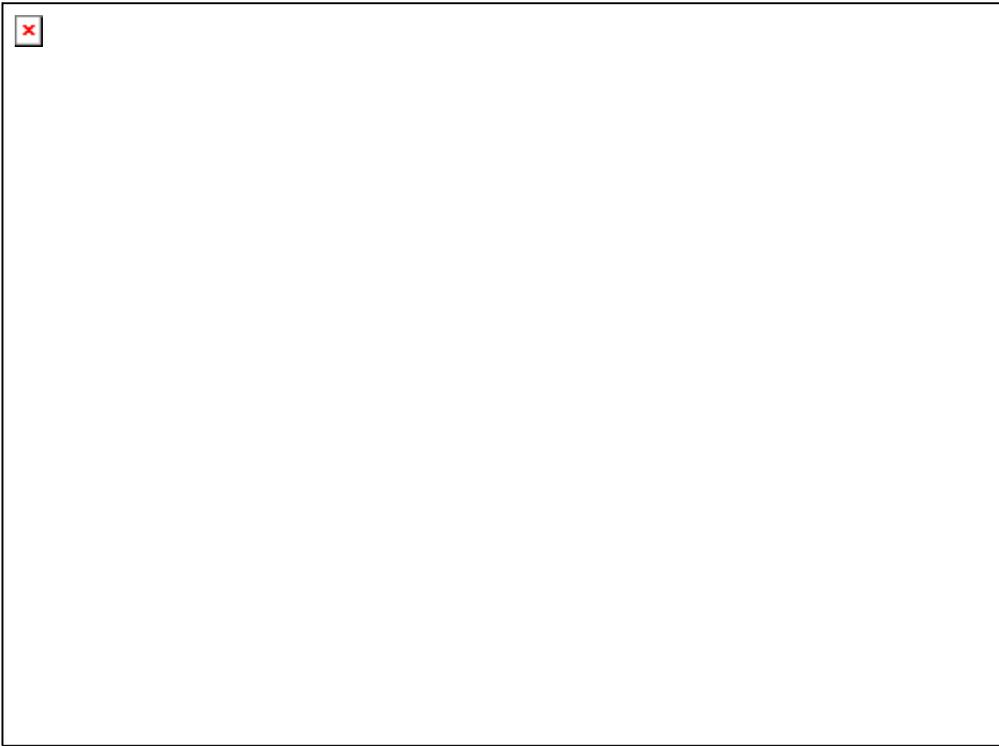
في عام ١٥١٦، تمكن السلطان سليم الأول من هزيمة المماليك والسيطرة على سورية. ثم نصب نفسه خليفة على المسلمين. شهدت الإمبراطورية العثمانية تحت قيادة خليفته السلطان سليمان اتساعاً امتد من الدانوب حتى النيل. في عام ١٨٣٢، استولى سلطان مصر محمد علي على سورية وأرسل ولده إبراهيم باشا إلى دمشق حيث أسس المدارس وأنشأ نظام القضاء وسياسات الإصلاح الضريبي وشجع التعليم، كما وضع المسيحيين واليهود على قدم المساواة مع المسلمين.

خلال الحرب العالمية الأولى، خاضت الجيوش العثمانية الحرب إلى جانب الألمان. في ١ تشرين الأول ١٩١٨ وصل لورنس العرب - الذي كان قد تمرد ضد الأتراك - إلى دمشق مع قوات الأمير فيصل ابن الشريف حسين شريف مكة. في تشرين الثاني من ذلك العام، غادر آخر الجنود الأتراك سورية.

في عام ١٩١٨ جرى إنشاء حكومة برلمانية في دمشق، وفي عام ١٩٢٠ نوّدي بالأمير فيصل ملكاً على سورية بحدودها الجغرافية الطبيعية آنذاك الممتدة من جبال طوروس شمالاً حتى صحراء سيناء جنوباً. اعتقد العرب بأن سورية ستكون بلداً يتمتع بالحكم الذاتي. اتفاقية سايكس بيكو السرية لم تسمح على أية حال بتحقيق ذلك. بموجب هذه الاتفاقية تم تقسيم سورية

إلى أربع مناطق بين بريطانية وفرنسا حيث أخضعت سورية ولبنان الحالية للانتداب الفرنسي، بينما أخضعت فلسطين والأردن للانتداب البريطاني ونودي بالملك فيصل ملكاً على العراق. قسم الفرنسيون سورية إلى أقاليم أو ولايات منفصلة شملت حلب ودمشق واللاذقية وحمص، ثم أتت حلب لاحقاً بالدولة السورية. في عام ١٩٤٥، سلّمت السلطة إلى حكومة سورية. وفي ١٧ نيسان، ١٩٤٦، تم جلاء آخر جندي أجنبي عن أرض الوطن.

خلال العهود الأولى للتحضر الإنساني العديد من الناس من شتى أنحاء العالم مشوا فوق هذه الأرض. الشاعر اللبناني الشهير جبران خليل جبران كتب قائلاً بأن كل سوري تقريباً يتحدّر من سلالة ملك أو ملكة.

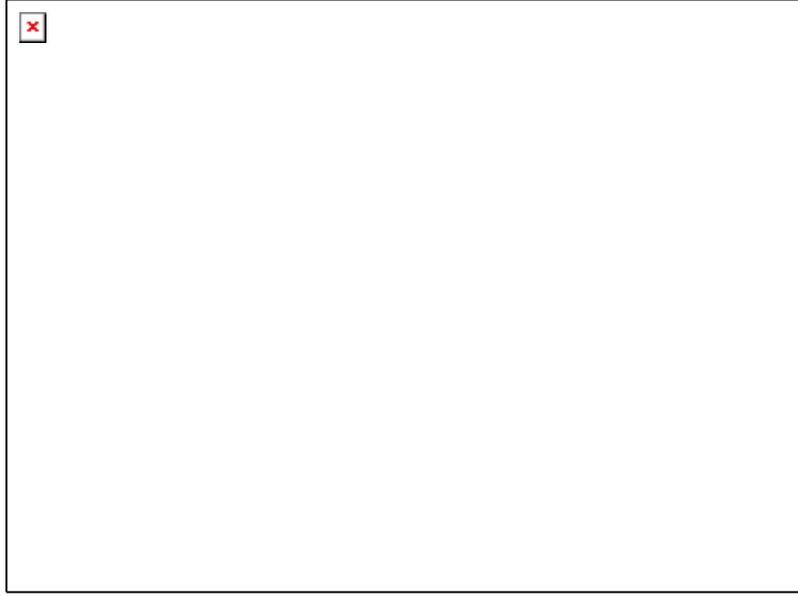


محطة الحجاز .. - ماضٍ يتسم بالروعة.

## الفصول الأربعة

استوطن الإنسان هذا الجزء من العالم قبل قرون عديدة، ليس فقط لموقعه الجغرافي، وإنما لتربته الخصبة ومناخه الرائع أيضاً. سورية، على غرار شمال الهند، فيها أربعة فصول متميزة. فصل الصيف يبدأ حوالي نهاية حزيران ويستمر حتى أيلول. رغم الجو الحار، فالطقس الجاف ليس سيئاً إلى هذا الحد. الأمسيات هنا دائماً محببة بنسائمتها الرقيقة العليقة. ويتميز فصل الصيف بثورة من الألوان المتنوعة على واجهات المحال التجارية على جوانب الطرق. فما تكاد تظأ قدمك الرصيف حتى تظالعك أكوام البطيخ الأحمر والتي سرعان ما

تلحق بها زميلاتها من أكوام البطيخ الأصفر. لكن احتكار هذه الثمار الصيفية للأرصفة لا يدوم طويلاً. هنالك أيضاً العديد من مطاعم الوجبات السريعة والأكشاك التي تنتشر على الأرصفة هنا وهناك. خلف الأوراق والنباتات الخضراء المحيطة غالباً بحوض صغير لتربية الأسماك يزين الطاولة تطالعك أكوام صغيرة من ثمار الصبار الصحراوي لذيذة الطعم. على امتداد الطريق تتزاحم أيضاً أكشاك وخيام باعة الفستق الحلبي باحثةً عن فسحة لها وسط هذا الزحام وكذلك باعة أكواز أو "عرانيس الذرة" التي تباع ساخنة والتي تشكل رقيقاً دائماً للمتزهرين وعابري السبيل. على أية حال، تعد ثمار الصبار أو "الصبارة" سيدة ثمار دمشق خلال فصل الصيف ويعد تناولها تقليداً دمشقياً عريقاً ينم عن ذوق مرهف.



#### - روعة ثمار الصبار -

الصيف يعقبه خريف لطيف ومنعش تنفتح فيه أكمام الياسمين الذي تحمل عبقه نسائم المساء وتنتشره في كل مكان. أما ثمار العنب والتفاح فحدث ولا حرج. بدءاً من منتصف تشرين الأول يحط الشتاء رحاله. شتاء سورية بارد وجاف وغالباً ما تشهد البلاد هطولات ثلجية في مختلف المناطق في أواخر أيامه. بعد سماء صافية على مدى ستة أشهر تقريباً خلال فصلي الربيع والصيف، يرحب الناس بمقدم الغيوم بكل حفاوة وترحاب. الشتاء يحضر معه ثمار الحمضيات كالبرتقال وأبناء عمومته من كافة الأشكال والحجوم والألوان التي تتراوح من الأصفر إلى البرتقالي. قبيل مقدم الربيع مباشرة هنالك أمطار شتوية.

الربيع هو ذلك الفصل الممتد من آذار حتى حزيران وهو فصل لطيف فعلاً ومناسب للرحلات. الأزهار تنفتح والطقس رائع الجمال. منذ ١٩٧٣، هنالك معرض دولي للزهور يقام سنوياً في دمشق على مدى خمسة عشر يوماً خلال فصل الربيع في حديقة تشرين، إحدى أكبر الحدائق العامة في دمشق، حيث تغدو الحديقة مهرجاناً رائعاً للألوان.



- تفتتح الأزهار في مكتب عنبر -

هنالك أسطورة تقول بأن اسم "سورية" مشتق من اسم الإله "شاماش" الذي يعني "الشمس" باللغة الآرامية. في الحقيقة، الاسم بالعربية هو "سورية"، وهكذا تدعى هناك. والأجانب فقط هم من يلفظها "سيريا". في الواقع هذا صحيح، فالشمس تشرق فوق سورية على مدار العام.



## المدن

### (عجائب الماضي تتألق من جديد)

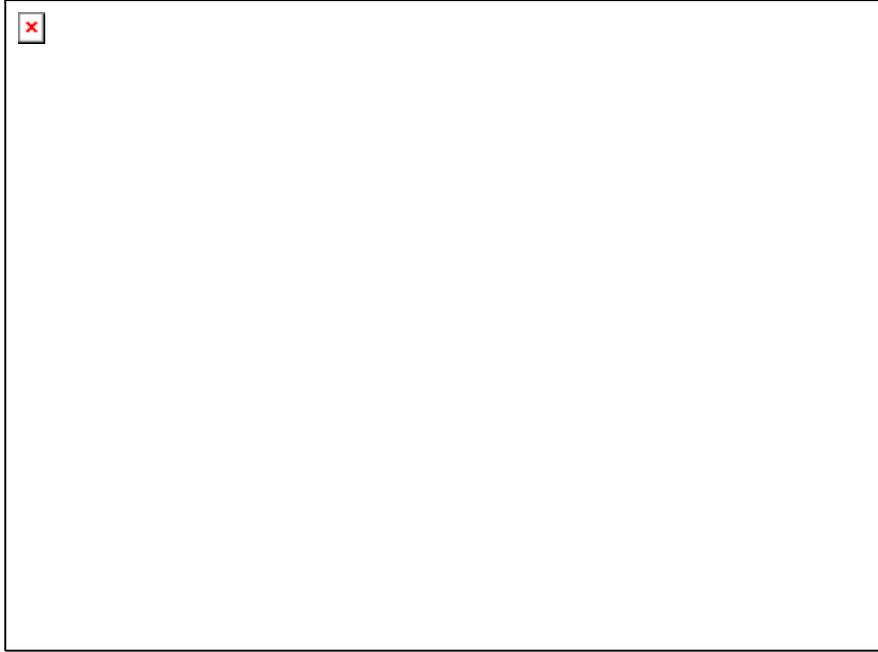
إذا صادف والتقيت بأي شخص من حلب في دمشق، فإنّ جلّ الحديث سينصب على "ما في حلب، على عكس دمشق" ... على غرار الجدل القائم بين "الدلهيين (أبناء دلهي) والمومبايكين (أبناء مومباي)"! نادراً ما تصادف مدينتين في العالم تتنافسان في كونهما أكبر مدينتين أهلتين على سطح الأرض. إن سحر سورية يكمن هنا - إن لمدنها عيناً على المستقبل وأخرى ترمق الماضي بحنو ومحبة. مزيج رائع من الأصالة والحداثة تضيء على مدينتي دمشق وحلب المتنافستين سحراً لا يُضاهى.

من جهة أخرى، هنالك مدينة في سورية جرى حفظها كشاهد على التاريخ كمفكرة للزوار بماضٍ عاصفٍ قريب. إنها القنيطرة - المحاذية لمرتفعات الجولان المحتلة - المدينة التي سويت بالأرض يغلفها جو من الرهبة والصمت والموت. لعلها الشاهد الوحيد المتبقي عن الواقع الجيوسياسي لهذا البلد الذي تنسم مدنه بطابع التاريخ مثل حمص واللاذقية ودير الزور، والتي لكل منها حكاية تحكيها.



## دمشق - سرُّ يتكشّف

المركز السطحي لهذا المكان المتمرد على الزمن والدائم التحول هو دمشق. مدينة قائمة منذ فجر التاريخ المدون. عصور شتى، حكام شتى، أسماء شتى، لكن قلبها ماضٍ في الخفقان وهي ماضية في التحرك قدماً بثقة واقتدار لا يجيدها إلا تلك المدن ذات الجذور الضاربة في أعماق التاريخ. إنها إيقاع أبدي.



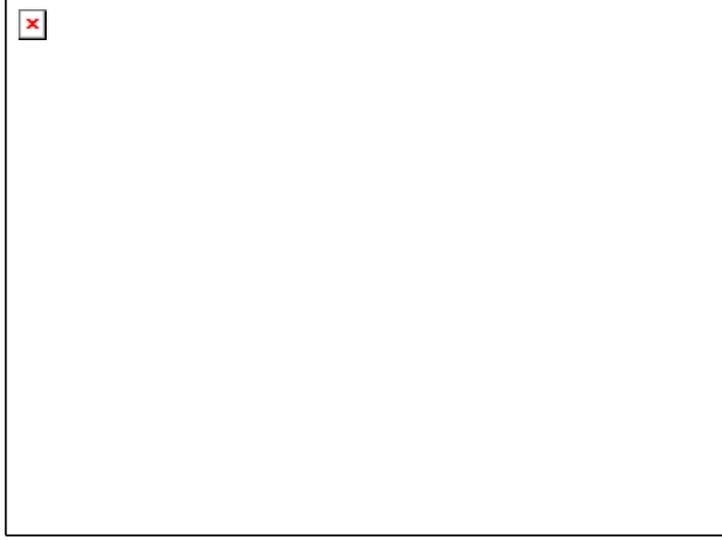
- دمشق القديمة - جسر التواصل مع الماضي -

اكتشاف دمشق هو بمثابة اكتشاف صديق جديد. المدن، على غرار الناس، لها ماضيها الذي يصوغ شخصياتها. مع ذلك، فإن حاضرها لا يشكل فقط الحاصل الإجمالي لماضيها لأنه حاضر ديناميكي دائم التجدد. دمشق، آخر أصدقائي، تمثل جسراً على خارطة العالم، وهي الآن حلقة الوصل بين الشرق والغرب، جغرافياً واقتصادياً وثقافياً.

- قلعة دمشق -



الشوارع عريضة براقية، والسيارات من كافة أنحاء العالم تتسابق على هذه الطرق. الانطباع الأول هو ذلك الذي يوحي بالأناقة والنظافة، والأبنية الخفيضة الارتفاع قليلة هي تلك العمارات الشاهقة الارتفاع، إضافة إلى إحساس عام بالهدوء والسكينة. المناطق المجاورة يمكن أن تخطط وترسم على أساس منائر الجوامع التي تشكل معالم المشهد. الأبنية هي من لون التربة المحيطة بها... تشكيلة من الأصفر والرمادي. نظرة واحدة إليها ويدرك المرء بأنها بلد تغلب عليه الصحراء. على الرغم من ذلك، فهناك العديد من الطرق المشجرة في دمشق... حيث أشجار الصنوبر الدائمة الخضرة تداعب بأناملها شجيرات النخيل المزهرة!.



### ألوان دمشق المتحدة.

الأذان الذي تتردد أصداؤه من منائر الجوامع المحلية، يتخلل الأصوات الصاخبة للحياة اليومية. إنه نداء مقتضب صداح، يبعث في النفس الإحساس بالهدوء والسكينة، بعيداً عن دوي الميكروفونات و هديرها. البناء في المدينة يتسلق سفوح جبل قاسيون الذي يشكل الستارة الخلفية للمدينة. من قاسيون، تبدو دمشق، أم التاريخ، كجوهرة متألئة في تاج. كافة مآذن الجوامع تشع باللون الأخضر، وتبدو هنالك في الأسفل كقطعة من الجواهر المطعم بالأحجار الكريمة. كما يقول السوريون، عندما تنظر إلى دمشق من قاسيون، ترى النجوم، ولكي تراها ثانية عليك أن تنظر إلى الأعلى!.



مشهد بانورامي  
لمدينة دمشق.



## الوجه المتغير لمدينة دمشق.

لدمشق اليوم وجه مختلف عن ملامح ماضيها الثر بمظاهره التي لا تعد ولا تحصى. إنها تتمتع بإيقاع نشيط هادئ. الطرق، الكهرباء، الماء الخ ... كلها من الفئة العالمية.



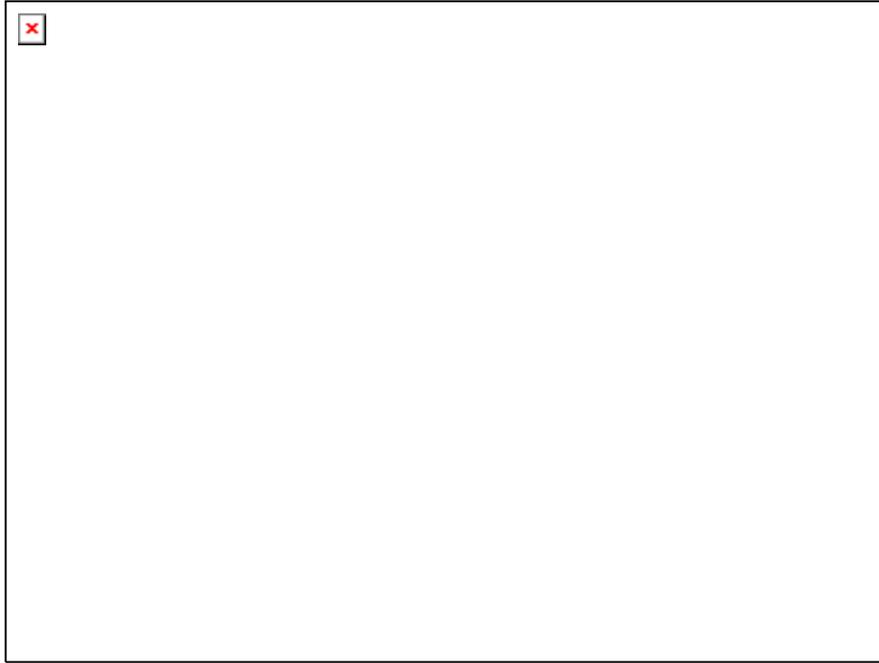
## ٤٨- الحركة نحو الأعلى في مدينة دمشق.

هنالك مناطق عصرية تتميز بفيلاتها الفخمة إلى جانب مساكن نوي الطبقة المتوسطة. إنها مدينة فيها العديد من الحدائق والنوافير. انطلاقاً من جامع بني أمية الكبير (ليس قرب الجامع) الطريق الذي ينطلق باتجاه جبل قاسيون يدعى شارع جواهرلال نهرو. الاقتصاد الآن هو في مرحلة الانفتاح. هوائيات الأقمار الصناعية تملأ الأفق، والموبايل بات في كل يد، والمخازن التجارية باتت تقدم آخر مبتكرات الموضة للرجال والنساء. المواطن السوري العادي يهتم بالأنماط الجيدة من اللباس. الحجاب أمر شائع، لكنه ليس معمماً. جامعة دمشق بطلابها الذين يفوق عددهم ١٣٠ ألف طالب تعد مكاناً محترماً للتعليم. الجامعة الافتراضية السورية - الأولى من نوعها في الشرق الأوسط أخذت في الانتشار شيئاً فشيئاً. المطاعم في دمشق تقدم أصناف المأكولات من شتى أنحاء العالم. أسواقها القديمة المزدهمة وحماماتها الأثرية تقف جنباً إلى جنب بلافتات تقول: "دمشق تعانق العالم". شعاراً لمهرجان دمشق السينمائي الثالث عشر الذي أقيم هنا. هذه المدينة التي كانت ولفترة طويلة عاصمة الخلافة الإسلامية، باتت اليوم بلداً يرفع راية العلمانية. الجامع المحلي يؤمه أسطول من السيارات المتراصة من حوله وقت الصلاة، وعبر الشارع، في إحدى الشرفات، تضاء

الزلاجة ذات الأجراس التي تجرها غزالة بابا نويل كل مساء خلال الأيام التي تسبق أعياد الميلاد. إنها مدينة ذات روحانية موعلة في القدم وتفكير معاصر ذي رؤية عالمية. دمشق هي أشبه بمشكاةٍ أنى أدرتها تعطيك مشهداً مغايراً. دمشق كانت بمثابة الاكتشاف الرائع بالنسبة لي. سر قد تكشف. بروحها العريفة، التي ما زالت تنبض بالحياة منذ أقدم العصور، تعد دمشق بمثابة الصديق والفيلسوف، تحمل رسالة كونية بين طياتها وثناياها.

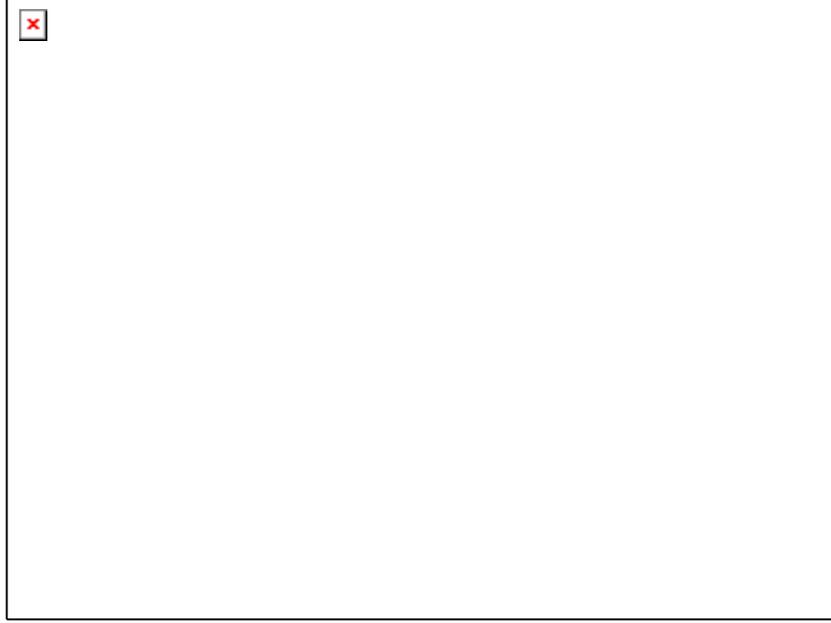
## حلب - مدينة التواصل بين الماضي والحاضر

يجب أن نعترف بأنه قبل أن نأتي إلى سورية، كانت دمشق هي المدينة الوحيدة التي سمعنا عنها. هل ذهبت إلى حلب (البيو) من قبل؟ عندما طرقت هذا الاسم مسمعي لأول مرة، ارتبكت قليلاً. فقد بدا لي وكأنني أسمع لفظة "أليبي"، المدينة الهندية الهاجعة بين أعطاف خضرة كيرلا. مع ذلك، فحلب ليست مدينة منسية داخل أحد الأصقاع السورية المنعزلة. إنها مدينة تشد الانتباه بقوة. إنها عاصمة الصناعة السورية، وهي أيضاً المدينة التي تجهد لتفنيدها ادعاء دمشق بكونها أقدم مدينة مأهولة في العالم.



### - حلب.. ملتقى الحضارات الأزلي -

الآثار والأوابد هي أشهر الأماكن في سورية. في هذا البلد المسمى "مهد الحضارات" يمكن للمرء أن يتأمل من ما شاء له أن يتأمل من الآثار وشواهد التاريخ طيلة حياته. مثيرة وجميلة هي الآثار - لكنها شواهد لحضارات سادت ثم بادت.



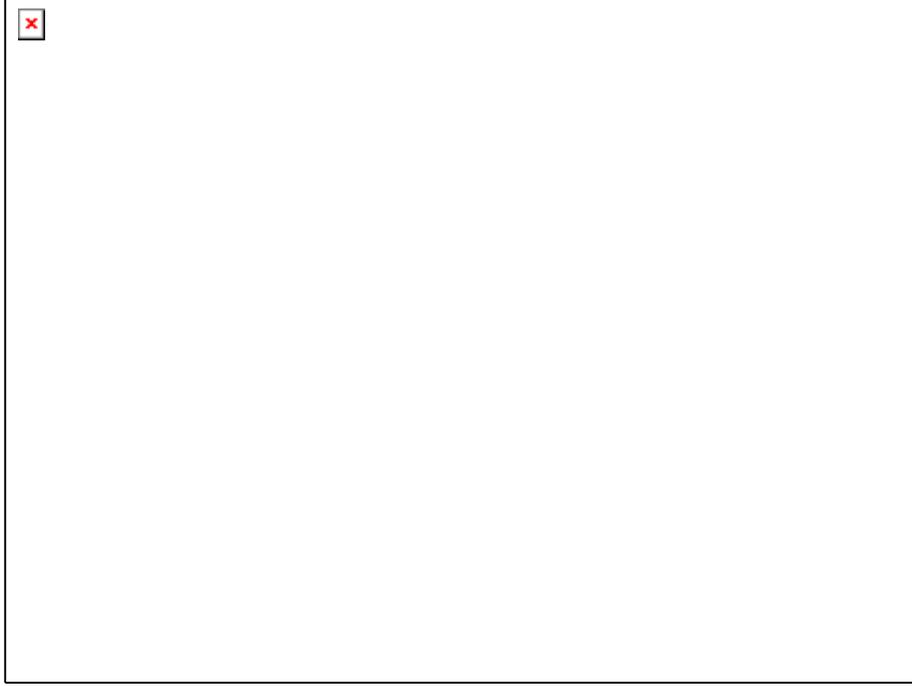
#### - قلعة حلب .. قرون متداخلة -

حلب مدينة مختلفة. لقد ورد ذكرها في نصوص تعود للقرن الثامن عشر قبل الميلاد. في العصر الروماني، كانت تشكل حلقة وصل تجارية رئيسية بين المتوسط وآسيا. العهد البيزنطي أعقبه الفتح الإسلامي. المغول أيضا نهبوا المدينة عام ١٢٦٠ و ١٤٠١. وقد تعرضت المدينة لأربعة زلازل مدمرة على الأقل. في لجة هذا التاريخ المضطرب حافظت المدينة على بقائها وحيويتها. واليوم تضم حلب في أحضانها مدينة قديمة مصنفة من قبل اليونسكو كمعلم تراثي عالمي تتحلق حوله مدينة عصرية ديناميكية.

على الطريق الدولية العريضة بين دمشق وحلب يمكن قطع المسافة البالغة ٣٦٠ كيلومتر بسهولة في ثلاث ساعات. الحقول الخضراء اليانعة وغابات الزيتون تحيط بالطريق من كلا الجانبين. من الصعب أن تتخيل بأن هذا الجزء الخصب هو جزء من سورية، التي يشيع الاعتقاد بأنها بلد صحراوي. كلما اقتربت من حلب تطالعك لافتات إعلامية ضخمة تروج لمنتجات متنوعة وفنادق وصناعات على امتداد الطريق. بعدها، يترأى أمام ناظريك صورة ظلية لأبنية متوسطة الحجم مرقطة بهوائيات الأطباق الفضائية ومتقاطعة مع مآذن العديد من الجوامع التي تتخلل المشهد. يمكنك الإحساس بالإيقاع المتميز لمدينة حلب بأسواقها المزدحمة وطرقها المشجرة وحدائقها الغناء وأبنيتها الحجرية. للمدينة روح أوروبية لا تخطئها العين، لكنها أيضاً مدينة عريقة على نحو لا يقبل الجدل.

على تلك اللافتات الإعلانية الزرقاء الكبيرة، يُسلط الضوء على مركز التراث العالمي باللون البنّي. قلعة حلب هي أيقونة المدينة. صورة هذه القلعة يمكن مشاهدتها على العملة السورية الحالية. تزعم الحكاية بأن إبراهيم الخليل عليه السلام قام بحلب بقرته الشهباء في القلعة مطلقاً على المدينة اسمها ولونها العربي من خلال الفعل "حَلَبَ الشهباء". لون حلب أصفر

ذهبي. المدينة القديمة وبيوتها وأبنيتها جميعها مبنية بالحجر الأبيض الضارب إلى الصفرة. في الحقيقة، فإن المدن والمواقع في سورية لها ألوانها المميزة الخاصة نظراً لطبيعة الحجر المستخدم في بنائها. جامع حلب الكبير المسمى "جامع زكريا" تم افتتاحه مؤخراً بعد خضوعه لعملية ترميم واسعة النطاق. الجامع يضم رفات نبي الله زكريا. الناس من كافة العقائد بإمكانهم زيارة الجامع.



#### - جامع زكريا - حلب -

عند مدخل الجامع، هنالك رتل من النساء المتشحات بالعباءات ورجال بالعقال العربي التقليدي. بجانب المسجد تقع أسواق حلب الشهيرة. خطوة داخل المتاهة المسقوفة بالحجر وتجد أن بإمكانك أن تتسى نفسك لساعات وساعات. المساحة التي تغطيها هذه الشبكة المعقدة من الأسواق القديمة تبلغ حوالي أربعة أميال ونصف. الأزقة صغيرة والسوق مزدحمة، لكنها تشع بالنظافة إلى حد لا يُصدّق. الأسواق تعج بالنشاطات التجارية والمساومات التي تعد عرفاً سائداً. بإمكانك الإطلاع على المنسوجات الحلبية الشهيرة والذهب أو أي شيء تحت الشمس تبحث عنه. إذا ما كنت محظوظاً، يسمح لك أحد أصحاب الحمامات اللطفاء باستراق نظرة داخل أحد الحمامات العامة أو "حمامات السوق". الغرفة الخارجية تكون مزينة عادة بالسجاجيد والبسط الملونة. هنا يترك الزبائن ملابسهم ويأخذون قسطاً من الراحة بعد الحمام. في الداخل يوجد ثلاث حجرات - دافئة وحارة، وحارة جداً. الماء يُسخن من أفنية تحت الأرض.



### - الكنيسة الأرمنية - حلب -

في المساء، بعد الأذان، يمكن للمرء أن يسمع قرع أجراس الكنائس. تضم حلب أكبر جالية مسيحية في سورية. والحي المسيحي التقليدي شمال المدينة القديمة يدعى "جديدة". هنالك كنيسة مارونية كبيرة وأخرى كاثوليكية رومانية والكنيسة الأرمنية إلى جانبها وكنيسة السريان الأرثوذكس.

كافة الكنائس في حلب قديمة ورحبة وجميلة من الداخل بأيقوناتها التاريخية العديدة. المنطقة هي بمثابة شبكة معقدة من الأزقة والحارات ذات النكهة التاريخية المميزة. على غرار بقية المدن القديمة، فهي مدينة بالغة النظافة. العديد من البيوت والمساكن القديمة هنا جرى تحويلها أيضاً إلى فنادق ومطاعم تراثية.

مدينة حلب القديمة هي مدينة ساحرة فعلاً. في فندق بارون القديم في حلب، كتبت أغاثا كريستي رائعها الأدبية "جريمة في قطار الشرق السريع". المحطة الأخيرة للقطار كانت حلب آنذاك. اليوم، يقع المركز الرئيسي لشركة الخطوط الحديدية السورية في حلب. المركز الدولي للأبحاث الزراعية في المناطق الجافة (إيكاردا) يقع على مسافة ٣٠ كيلومتر جنوب حلب. لقد لعب الهنود دوراً رئيسياً في بناء هذا المركز منذ تأسيسه. هنالك ساحة باسم "الأم تيريزا" في حلب. جامعة حلب تمتد على مساحة عدة فدادين ويؤمها أكثر من مائة ألف طالب للدراسة داخل قاعاتها. إنها مركز تعليمي هام في هذا الجزء من العالم. المبنى الجديد لغرفة التجارة في قلب المدينة القديمة هو مركز جميل يشع باللون الأصفر الذهبي. حلب هي مدينة التواصل بين الماضي والحاضر والشاهد على أن الحياة هي في تجدد دائم.



– جامعة حلب – أحد مراكز الإشعاع في سورية –

## القنيطرة: لقطة من التاريخ

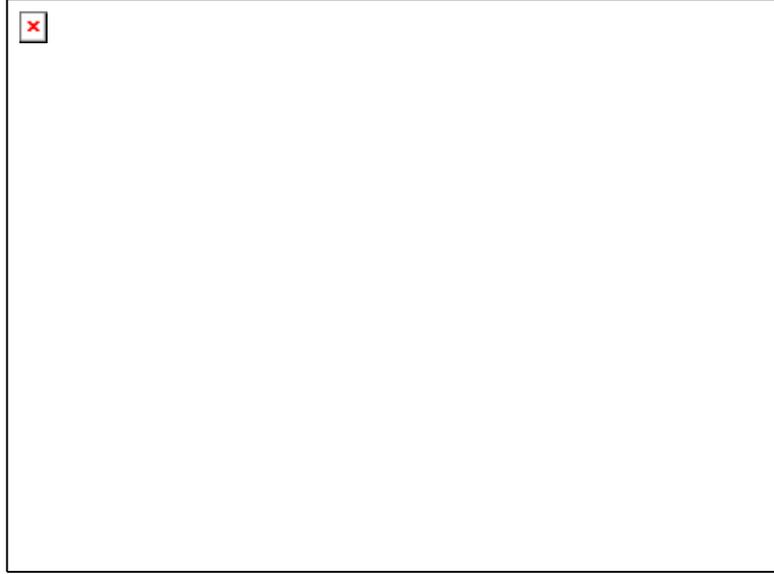
إنه حفل زفاف حيث لا يسمح لكل طرف إلا بخمسة عشر مدعواً. إنهم يجتمعون لبضع ساعات فقط في مبنى يشغله قوات الشرطة العسكرية. غالباً ما يأتي تلاقي هؤلاء المدعويين بعد فراق سنوات عديدة. وسط لقاءات تشويها الدموع، يجري تبادل تهاني وتمنيات الزفاف. بعدها، سرعان ما يحين الوقت وينسحب كل طرف إلى ما وراء خطوط الفصل. "العائلة التي غاب فلذة كبدها عن ناظرها تبدو وكأنها في مأتم وليس في حفل زفاف." هذا ما تحدث عنه الجنود.

مع ذلك، فمثل هذه الزيجات تحدث على فترات منتظمة بين الدروز على جانبي خط الفصل بين سورية وإسرائيل في منطقة مرتفعات الجولان المحتلة. في منتصف عقدة الطريق الوحيدة بين سورية والجولان المحتل، يشكل مركز الشرطة العسكرية للأمم المتحدة الموقع الذي تعقد فيه مثل هذه الزيجات. هذا الاحتلال الإسرائيلي للأرض السورية مازال من دون حل منذ ١٩٦٧.

طريق صغيرة قبالة الطريق الدولية تؤدي إلى مدينة القنيطرة المحررة التي تقع على مسافة ٧٠ كم جنوب غرب دمشق. قرب طريق بلدة القنيطرة الجديدة بوسع المرء رؤية الأعلام الزرقاء للأمم المتحدة ترفرف على تقاطعات مختلفة.

إنها منطقة مثيرة. مرتفعات الجولان تتحدر نحو وادي الأردن على الجانب المحتل. قوة الفصل التابعة للأمم المتحدة (أندوف) تراقب المنطقة بشكل متواصل من قمة جبل حرمون في الشمال حتى وادي اليرموك في الجنوب.

خضراء وخصبة وذات هواء عليل، هذه منطقة كان أثرياء دمشق قد شيدوا لهم فيها منتجعات مثل القنيطرة قبل نكسة ١٩٦٧. في عام ١٩٦٧ كانت القنيطرة منتجعا صيفيا فيه دور للسينما ونوادي وكنائس وجوامع والعديد من الفيلات. بعد احتلال إسرائيل لها، أصبحت المدينة موقعا عسكريا. في عام ١٩٦٧، عندما انسحبت القوات الغازية من المدينة، عمدت إلى تدميرها بشكل منظم أثناء انسحابها من خلال تسوية منازلها بالأرض وكأنها منازل من الورق المقوى عصفت بها ريح عاتية. لقد أبقى السوريون على المدينة على حالها حتى اليوم. إنها مدينة صامتة، موحشة خالية من الحياة. المدينة برمتها تدعى "متحف القنيطرة المحررة". من خلال تجواله عبر طرق المدينة الخالية، بوسع المرء أن يشاهد على كلا الجانبين بيوتا متداعية وكنيسة أحدثت القذائف فيها فجوات وفتحات عديدة ومآذن وجوامع متداعية والمشفى الوحيد في المدينة وقد جعلت منه القذائف أشبه بالغربال. المدينة صامتة، لكنها تروي حكايتها بلسان أبلغ من الكلمات. مؤخرا، اتخذت السلطات السورية قرارا بإعادة بناء هذه المدينة الضائعة.



#### - مشفى الجولان -

زيارة القنيطرة تتطلب إذنا خاصا، والذي عادة ما يأتي مع الموافقة. في يوم العطلة بوسع المرء مشاهدة العديد من الحافلات المكتظة بالزوار هناك. التصوير مسموح في أماكن معينة، طالما أن آلة التصوير ليست بمواجهة الجانب الآخر. قرب القنيطرة تقع نقطة التقاطع التي تتمركز فيها وحدة من قوات الفصل الدولية (أندوف). بالوقوف على هذا الجانب من الطريق المسور بشبكة من الأسلاك الشائكة بوسع المرء مشاهدة المركبات وهي تتحرك عبر الطرق الجبلية على الجانب المقابل. الأزهار والرياحين تتأثرت بعفوية مع النسيم ضمن المنطقة

المحرمة بينما كان مرشدنا النمساوي من عناصر قوة الفصل الرائد ماي يحكي لنا عن طقوس الزفاف عند الدروز.

الزيجات حسبما يقولون تعقد في السماء، لكن الزيجات التي يحتفل بها في هذا الصقع النائي من العالم يجري ترتيبها في "وادي الصراخ". على مسافة ٤٥ دقيقة بالسيارة شمالاً عبر مرتفعات الجولان الخلابة مروراً بالعديد من القرى الدرزية تقع نقاط التفتيش الدولية والسورية. على الجانب السوري تم إقامة منصة ضخمة تتسع لحوالي ٢٠٠ شخص. في الأمام عبر خط الفصل، تقع قرية مجدل شمس الدرزية على مسافة ١٠٠-١٢٠ متر تقريباً.

الدروز من قرية "حضر" على هذا الجانب من السياج الفاصل والقرويون من مجدل شمس على الجانب الآخر من السياج يعقدون زيجاتهم عن طريق الصراخ لبعضهم البعض بواسطة مكبرات للصوت يحملونها في أيديهم. هنالك حوالي عشرة آلاف درزي يعيشون في الجولان المحتل. الدروز هم فرقة إسلامية. رغم عقود طويلة من النزاع والشقاق مع الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة فهم لا يزالون يصوغون الروابط فيما بينهم. بالطبع، فإن قدوم الإنترنت والموبايل قد قلل من الاعتماد على مكبرات الصوت. مع ذلك، لا يزال بوسعك أيام الجمع مشاهدتهم محتشدين هناك للوصول إلى بعضهم البعض.



مشهد لمجدل شمس.



#### - المراقبة عند وادي الصراخ - القنيطرة -

موقع منعزل للأمم المتحدة يقع على مسافة ٥٠ متراً من المنصة، وبوسعك مشاهدة جنود من مكان آخر من العالم مسمرين خلف مناظيرهم الموجهة نحو الجانب الآخر. على الرغم من هذه المراقبة اليقظة والطويلة، فالعلاقات تقوم وتتعرز رغم الحدود، مبقية على جذوة الأمل حية في تحقيق سلام قادم.

#### حمص - مدينة الابتسامات:

حمص هي ثالث أكبر المدن السورية وهي مركز صناعي في المقام الأول تتمركز فيه نصف طاقة المصافي النفطية الإجمالية. ليس هنالك الكثير من أوابد التاريخ المتبقية في حمص، لكنها مدينة يتوجب على المرء المرور بها أثناء سفره عبر طول البلاد وعرضها. بتوضعها على مسافة ١٦٠ كيلومتراً من دمشق، فإن الطرق من هنا تتفرع شمالاً نحو حلب وشرقاً نحو تدمر ودير الزور وغرباً نحو المتوسط. حمص مدينة نشيطة مزدهمة ذات هواء عليل.

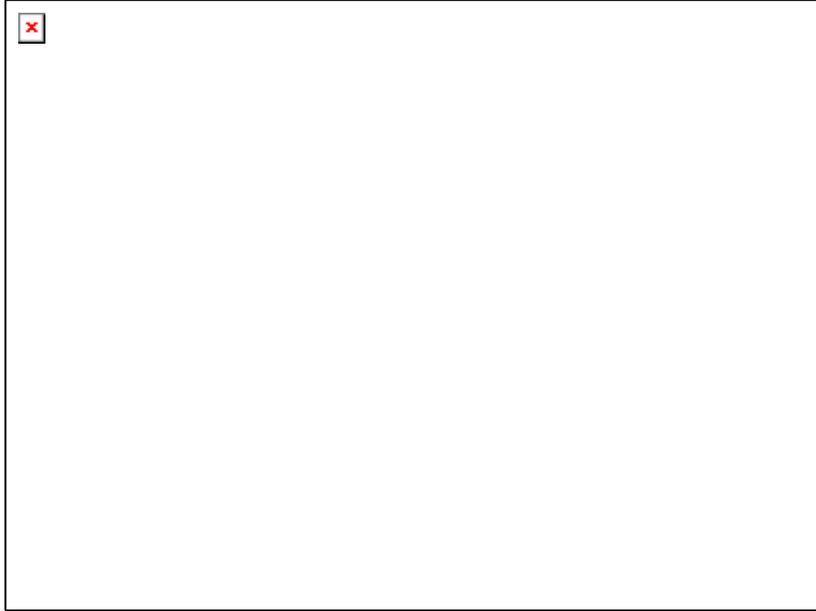
إنها أيضاً المدينة التي تشكل مصدراً للعديد من النكات السورية التي ترسم الابتسامات على العديد من الوجوه. في أية سهرة سورية فإن نكتة عن "الحماصنة" هي خير ما تستهل به الجلسة. إن ظاهرة خفة الظل لدى أبناء الشعب الحمصي كانت واضحة بينما كنا نبحث عن غرفة التجارة في حمص. توقفنا وسألنا أحد أفراد شرطة المرور عن الطريق إليها. بما أن سائقنا كان سورياً، فقد أجريا دردشة سريعة بالعربية. بعد إصغائنا لإرشاداته، و بينما كنا نهم بالانطلاق، أوماً لنا الشرطي بالوقوف وسأل سائقنا عن أمر ما. فرد عليه السائق بمحاضرة

طويلة أمكن لنا بعدها أن ننطلق. فيما بعد أخبرنا بأن الشرطي أوقفه ليعيد على مسمعه إرشاداته مرة أخرى كيلا نضل الطريق!!

## دير الزور – بوابة الفرات العظيم

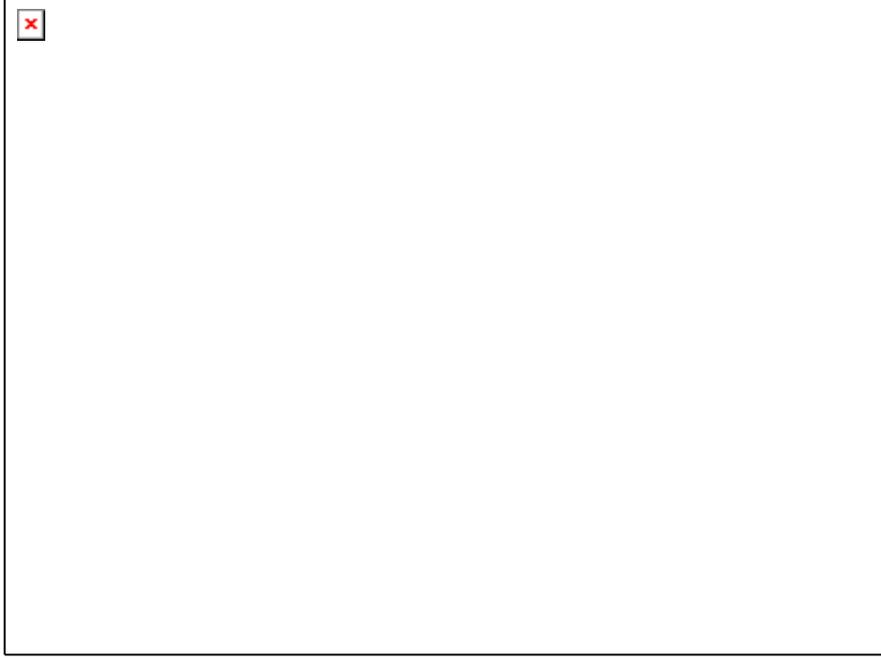
تعد هذه المدينة التي تقع في شرق سورية من أهم مدن البلاد، ليس فقط لوقوعها على ضفاف الفرات العظيم، وإنما أيضاً لوجود العديد من الآبار النفطية المكتشفة حولها. هنالك أيضاً عمليات تنقيب جديدة يجري تنفيذها في الصحراء من حولها. هذه المدينة تؤدي أيضاً إلى الحدود الشمالية- الشرقية لسورية مع تركيا والعراق. هنالك العديد من المطاعم الصغيرة على كلتا ضفتي الفرات توفر لك الفرصة لتناول وجبة هادئة قرب المياه المتدفقة أمامك.

دير الزور كانت أيضاً الملاذ للعديد من طوائف الأرمن الفارين من مذبحه عام ١٩١٥ إضافةً للطوائف المسيحية كالسريان، والذين جرى استقبالهم واحتضانهم من قبل أبناء الشعب السوري بكل ود وترحاب. الجالية الأرمنية في سورية اليوم تتعم بحياة راغدة وتسهم في بناء الأمة. كانت دير الزور آخر محطة بالنسبة للقوافل الطريده، والمكان الذي توجد فيه الكنيسة وضريح الشهداء الأرمن. الكنيسة إلى جانب النصب التذكاري جرى تدشينها عام ١٩٩١. الزيارة إلى هنا تستحضر الذكرى القاسية لما يمكن للإنسان أن يفعله بأخيه الإنسان. هنالك عمود ضخم في وسط الكنيسة. إنه عمود الانبعاث الجديد، الذي دفنت حول قاعدته بقايا عظام الشهداء. في القبو توجد لوحة تصور هول المذبحة. رغم احتضانه لجراح أليمة، تلف هذا النصب التذكاري هالة من الأمان والسكينة.

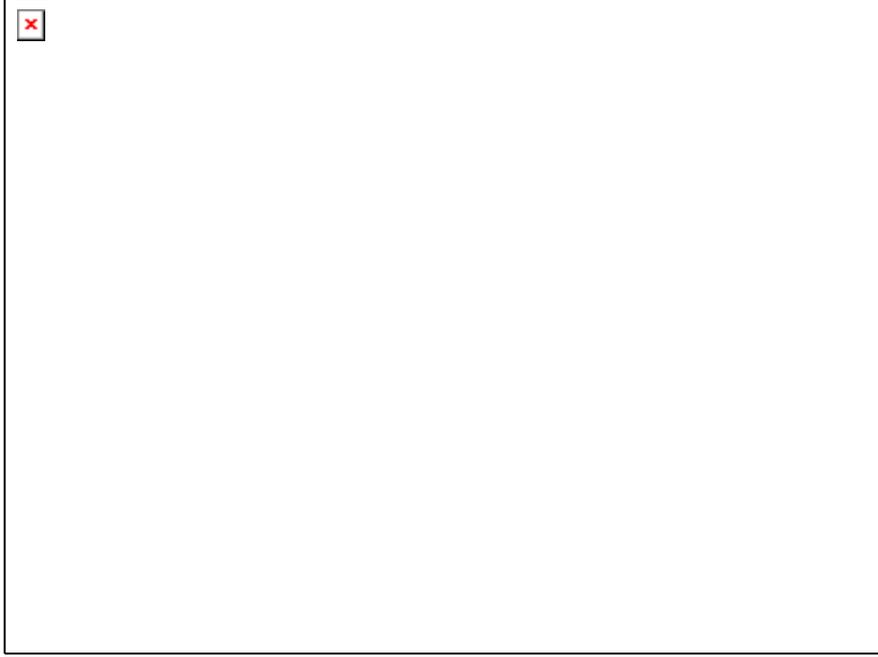


## اللاذقية – منارة المتوسط:

هذه المدينة، التي هي أكثر الموانئ السورية صخباً وازدحاماً، هي على عكس باقي المدن السورية مدينة ذات نكهة أوروبية. شوارع عريضة مزدانة بالأشجار، مقاهي على جوانب الطرق، كورنيش مزدحم – المدينة تتميز بروح الانفتاح والعذوبة. إنها البوابة للعديد من المواقع التاريخية والمنتجعات الشاطئية. أوغاريت، رأس شمرا – موطن الأبجدية الأول، قلعة صلاح الدين، ومنتجع رأس البسيط الرائع – جميعها يمكن الوصول إليها من اللاذقية. فيها متحف جميل يضم العديد من شواهد التاريخ داخل أحد الخانات القديمة. مبنى المتحف ذاته هو جزء من المتحف!. في الباحة الأمامية توجد شجرة ضخمة مصدرها من الهند تدعى "تين هندي"، وهي تشبه إلى حد بعيد شجرة "البانيان" في الشكل، لكنها مختلفة في النوعية.



- موسم الصيف في اللاذقية -



- الشمس والبحر والرمل على شاطئ اللاذقية -

اللاذقية هي المدينة الساحلية السورية الرئيسية. في الصيف، تكتسي المدينة حلة كرنفالية بحوانيتها المضاءة والكثير من المطاعم وجوقات السياح وطوابير السيارات وسط جو من الألفة والمرح والحيور. إنها الملتقى للعديد من السياح العرب والأجانب الذين يؤمنونها طلباً للراحة والاستجمام.

لقد جعل الموقع الجغرافي المتميز من سورية معبراً لحضارات الشرق والغرب، وبوتقة الثقافة والمجتمع التي تقف مدنها المتميزة شاهداً عليها.



- سورية اليوم -

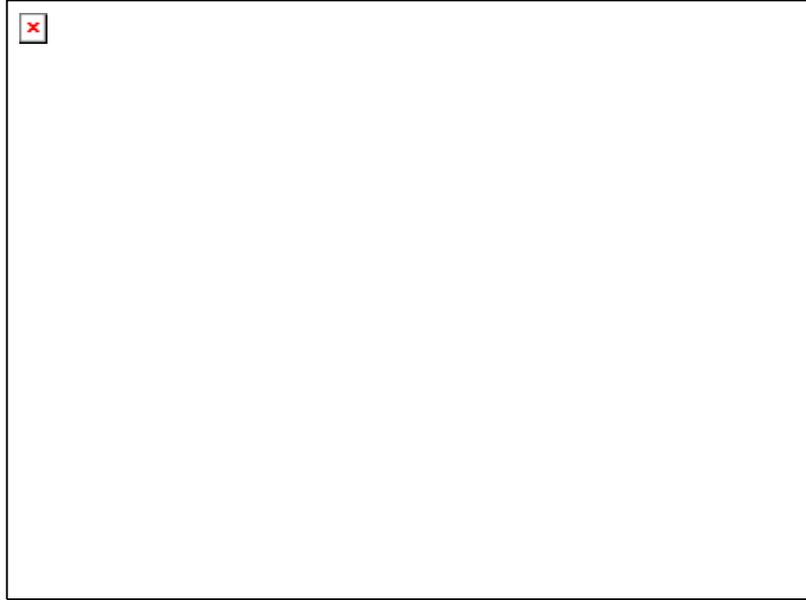




## المجتمع و الثقافة

### نماذج معقدة

" الكواكبي " - في وسط منطقة سكنية أنيقة في دمشق، هذا الاسم ذو النكهة اليابانية قربنا كان دائماً يومئ لنا. شاب سوري وعجوز متأنق كانا يتناوبان على طاولة المحل. بينما كنا في مشوارنا المسائي الاعتيادي، بادرنا العجوز بـ "أهلاً و سهلاً" وفي سياق الحديث استوضح إن كنا نعرف العربية. لم نكن نعرفها. عرض علينا أن يعلمنا إياها. كنا بحاجة لتعلم العربية، ولكن لم نكن قادرين على الجزم بأن جارنا العجوز المتأنق هو المرشح المناسب لهذه المهمة. ومرة الأيام، وفي كل مرة كان جارنا العجوز يكرر عرضه على مسامعنا.



- الكواكبي - معلم اللغة العربية -

لقد كانت مواظبته على عرضه ما حدا بنا إلى الموافقة في نهاية المطاف. شعت عيناه بالبهجة - وكان ذلك واضحاً حتى من وراء عدستي نظارته السميكتين!. الأخاديد العميقة البادية على جبهته تعمقت أكثر بفعل الابتسامة. حضر إلى المنزل في اليوم التالي. عندما سأله

عما يريد لقاء خدماته أجابنا قائلاً: "سأعرض عليكم رقمين تاركاً لكم حرية الاختيار. ليرة سورية واحدة أو مليون ليرة سورية." لدى إحساسه بارتباكنا، بادرنا موضحاً: "أريد أن أعرف الآخرين ممن لا يعرفون لغتي بجمال هذه اللغة. لا أريد أية أتعاب لقاء خدماتي على الإطلاق."

معلمنا لم يسبق له مطلقاً أن أمتهن تدريس أي شيء بشكل رسمي قبل الآن. إنه مصور محترف، وهو يتحدث الإنكليزية بطلاقة، ولديه إلمام بالفرنسية ويعشق لغته الأم!

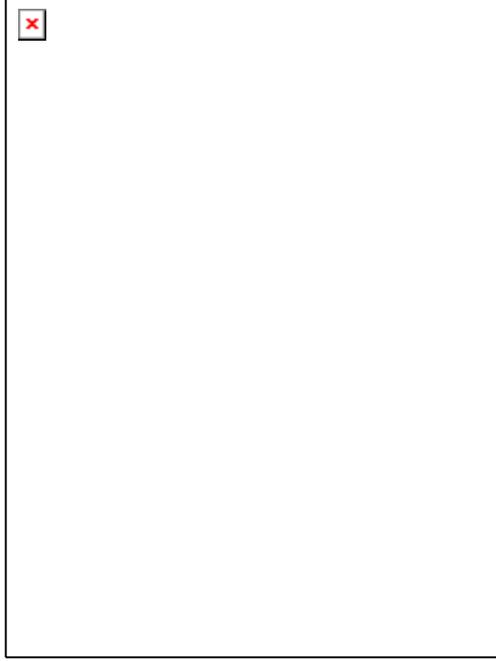
سورية ترحب بكم - "أهلاً و سهلاً". إنها أرض الكرم والضيافة وطيب المحفل. هيثم الكواكبي، معلمنا لمادة اللغة العربية، كان أول نافذة نطل من خلالها على هذا البلد المذهل. لقد تعرفنا من خلاله على العديد من عظماء هذا البلد. يوسف العظمة - وزير الدفاع الذي قضى وهو يزود عن حياض وطنه إلى جانب رفاقه ضد المستعمر الفرنسي في معركة ميسلون. فارس الخوري - رجل الدولة المسيحي البارز الذي شيعته كافة المساجد في منطقتيه. عبد الرحمن الكواكبي - المناضل الذي كافح ضد الأتراك بالسلاح الأقوى، ألا وهو الكلمة، وهو أيضاً جد معلمنا هيثم.

## الوحدة في التنوع:

يشكل السنة ٧٠% من سكان سورية، وتشكل بقية الطوائف الإسلامية ١٦%، المسيحيون يشكلون ١٤%، وهناك جالية صغيرة من اليهود. هنالك أيضاً مجموعة كبيرة من اللاجئين الفلسطينيين ومجموعات من قبائل البدو الرحل. في عام ٢٠٠٣ بلغ عدد سكان سورية ١٧,٥٧ مليون نسمة. معدل النمو السكاني يبلغ ٢,٤٥%. أكثر من ٤٠% من السكان دون الخامسة عشرة من العمر. النسبة الإجمالية للمتعلمين تبلغ ٧٦.٩%. حالياً، ٧٣,٧% من النساء و ٩٠,٣% من الرجال هم من فئة المتعلمين. تسهم الزراعة في ٢٧% والصناعة في ٢٣% والخدمات في ٥٠% من إجمالي الناتج المحلي حسب إحصاء عام ٢٠٠٠. متوسط دخل الفرد هو ١٢٢٥ دولار سنوياً، وهو من أخفض المستويات في الشرق الأوسط. مؤشر الفقر هو ٢٢ ونسبة البطالة تبلغ ٢٠%. سورية هي من إحدى البلدان القلائل في هذا الجزء من العالم ذات الدستور العلماني. إحدى الدراسات المنشورة في مجلة "الإيكونوميست" المرموقة في نيسان ٢٠٠٤ صنفت سورية في المرتبة الثامنة من بين عشرة دول على صعيد الحرية الدينية والسابعة على صعيد المساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للمرأة.

كان يوماً رائعاً مشرقاً عندما هبطنا في دمشق في منتصف شهر رمضان المبارك في تشرين الثاني عام ٢٠٠٣. عند الغروب كانت المدينة تبدو مقفرة. إنه موعد الإفطار. - الكل منشغل بالدعاء والاستعداد للإفطار. في المساء، بعد الإفطار، تعود الشوارع إلى سابق عهدها من الازدحام وتغص الأسواق والمطاعم بروادها. خلال الأسبوع الأخير من رمضان، ومع اقتراب العيد تبقى الأسواق مفتوحة حتى ساعات الصباح الأولى.

توجهنا إلى مدينة طرطوس الساحلية. في طرطوس يكتسي المتوسط حلة زرقاء داكنة. السفن ترصع صفحة المياه، لكن الشاطئ كان مقفراً. الوقت كان عند العصر وشهر الصوم مازال قائماً.



#### منذنة عيسى - الجامع الأموي.

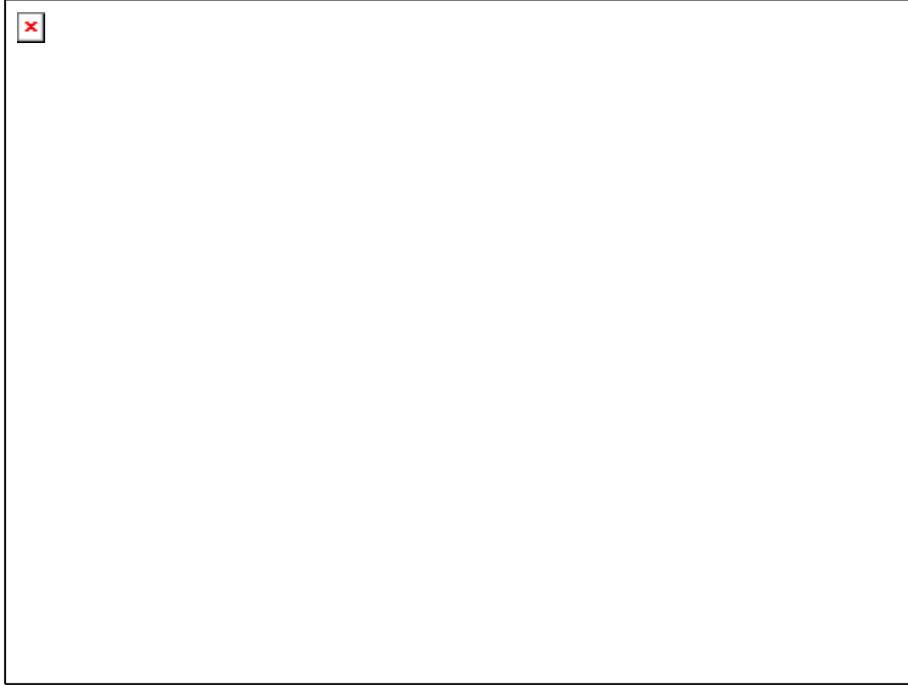
خلال رمضان بوسع جماعة من الهنود إذا ما دهمها الجوع أن تقترش لها مكاناً على شاطئ المتوسط في طرطوس وتتناول طعامها، وسط ترانيم "أهلاً وسهلاً" من المارة. سرعان ما حل عيد الميلاد وشرعت الأسواق تستعد لهذه المناسبة. في الشفق السكنية تبقى نجوم وأجراس الميلاد مضاءة على الشرفات حتى وقت متأخر من الليل. في عيد الفصح، قمنا بزيارة بلدة "معلولا" المسيحية بالقرب من دمشق. من خلف ديرها الشهير، دير القديسة تقلا، تبدى لنا حشد كبير من الناس. قررنا تقصي الأمر. الفالق الجبلي كان يفضي إلى وهدة صغيرة وغدير رقرق في الوسط. أكثر من ١٥٠ شابة سورية كانت محتشدة في المكان. منور، فتاة محجبة بحدود الخامسة عشرة ممثلة قليلاً، تقدمت منا وسألتنا: "من الهند؟". وما أن أومأت لها

بالإيجاب حتى أحاطت بنا بقية الفتيات. هؤلاء الفتيات الشابات المتحمسات اللاتي كن في رحلة مدرسية تبين بأنهن من أكثر المحاورات إرهاباً واستنزافاً للشخص الذي يجربن معه حوارهن. ومن أين لك أن تجيب على سيل الأسئلة التي يطرحنها بخليط متنوع من الإنكليزية والعربية، مع أفضلية راجحة للأخيرة. الأذرع والعيون والأيدي - جميعها كانت مستنفرة لنجدة اللسان. أمطرنا بالحلويات وكافة أصناف الطعام، وسيل لا يتوقف من الأسئلة. لم تمنح لنا الفرصة للانسحاب إلا عندما لمحت منور - الفتاة ذات الخمسة عشر ربيعاً - مجموعة أخرى من السياح الأجانب. لدى الفتيات الشابات ظماً وفضول لا ينضب حيال الأشياء المختلفة.

- القديسة تقلا.. الميجلة لدى كليهما الطوائف المسيحية والمسلمة -

حجاج عند باب الصغير - دمشق القديمة

التسامح واحترام الفوارق والاعتزاز بالتراث الحضاري التي يلمسها المرء لدى أبناء المجتمع السوري تعزز الاعتقاد بأن سورية هي حقاً مهد الحضارات. نظراً لوقوعها على نقطة تقاطع التاريخ والجغرافيا لآلاف السنين، فإنك تجد انعكاس السمة المميزة لجميع الأقسام التي التقت على هذه الأرض في هذا المكان. الفينيقيون، العموريون، الحثيون، الإغريق، الرومان، العثمانيون، والفرنسيون - جميعهم فتحوا هذه البلاد، مكثوا فيها لبعض الوقت، أو مضوا دون أن يخلفوا أي تأثير يذكر على جوهر هذه الأرض وأهلها. إنهم شعب كان لحضارتهم وثقافتهم دور أساسي في بناء التاريخ الإنساني - لقد أعطونا القمح والموسيقى وأول أبجدية مكتوبة وارتسمت على ترابهم آثار أقدام رسل كافة الديانات الرئيسية لهذا الجزء من العالم.



- أطفال سوريون - الظمأ إلى المعرفة -

## السيناريو الحالي:

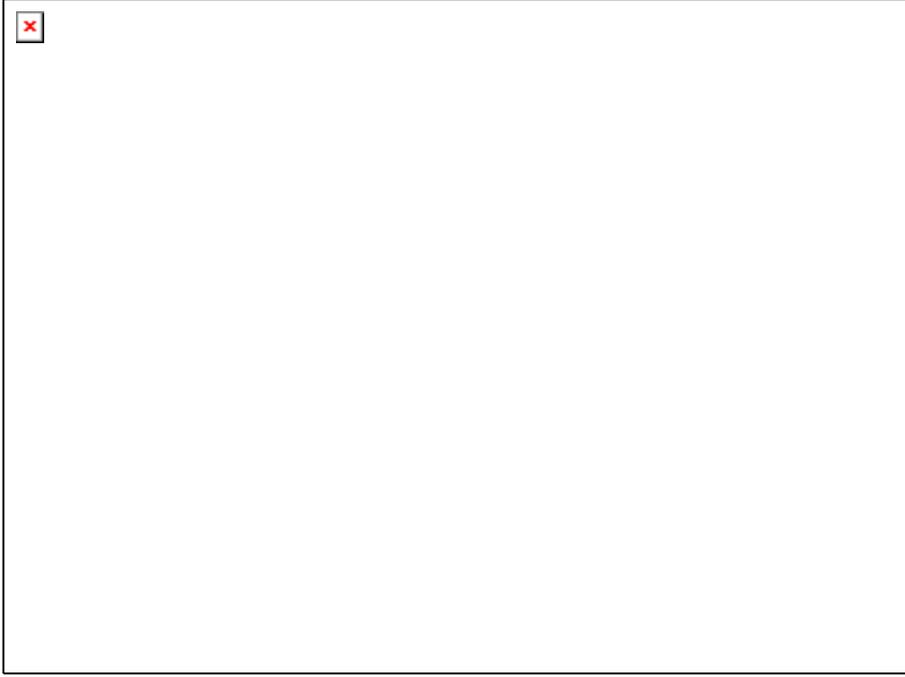
عندما تحررت سورية من ربة الانتداب الفرنسي عام ١٩٤٦، كانت تعاني من ذات المشكلات التي تعاني منها باقي المستعمرات بعيد تحررها من نير الاستعمار. مجتمع لا يزال مفككاً ونواة سياسية لم تتخذ بعد شكلها النهائي. مع ذلك، فإن الملامح الأولى لتشكل هوية وطنية متماسكة كانت قد بدأت تلوح في الأفق والبلاد لا تزال تحت ظل الانتداب. لقد شهدت هذه الفترة ظهور طبقة متوسطة قوامها محامون ومعلمون وطلاب وموظفون الخ. لقد شهدت فترة الثلاثينيات أيضاً ميلاد عدد من الأحزاب السياسية المطالبة بالتغييرات السياسية والاجتماعية. أحد هذه الأحزاب كان حزب البعث العربي الذي ظهر إلى حيز الوجود عام ١٩٤٠. المبادئ الرئيسية التي جرى اعتناقها شملت الاستقلال الوطني، الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي وعلمنة الحياة العامة.

في عام ١٩٥٤ برز حزب البعث كثالث أكبر حزب في الميثاق الوطني. بعد حل الوحدة القصيرة الأمد بين مصر وسورية عام ١٩٦١، تسلم حزب البعث مقاليد السلطة في البلاد في ٨ آذار عام ١٩٦٣. قوام النخبة الجديدة الحاكمة في سورية تكون بشكل أساسي من ضباط الجيش من أبناء الأرياف والنخب المثقفة للبلدات الصغيرة.

النزاعات الداخلية دفعت بوزير الدفاع آنذاك حافظ الأسد إلى القيام بالحركة التصحيحية الناجحة عام ١٩٧٠. وعلى مدى الثلاثين عاماً التالية حتى وفاته عام ٢٠٠٠، اعتمدت سورية سياسة استيراد تحت إدارة الدولة مع تشجيع القطاع الخاص والاستثمارات الخاصة في البلاد. خلال عهد الأسد تمكن النظام من الصمود في وجه تمرد عنيف قامت به عصابات الإخوان المسلمين، حركة عصيان داخلي، انهيار الاتحاد السوفييتي - حليفه، توقيع مصر والأردن والفلسطينيين لعدد من الاتفاقيات المنفردة مع إسرائيل، وبالطبع عدد من التحديات الإقليمية من جانب إسرائيل والأوضاع المستجدة في كل من العراق وإيران ولبنان.

بعيد وفاته في ١٠ حزيران عام ٢٠٠٠ تسلم ولده الدكتور بشار الأسد مقاليد السلطة في البلاد. لقد ورث بلداً كان في حاجة ماسة للإصلاح، حيث أن النظم والبنى القديمة كانت آخذة بالتداعي أو تجاوزها الزمن وسط بيئة عالمية جديدة آخذة بالتغير بوتيرة سريعة. منذ قدومه إلى السلطة سعى نظامه إلى إطلاق سلسلة من الإصلاحات في مجالات شتى. اليوم باتت سورية مجتمعاً متغيراً. هنالك قدر كبير من التغيير المتواصل.

لقد شهد القطاع الخاص ظهور المصارف الخاصة والإصلاح في مجال القانون الضريبي والسياسة النقدية وطائفة من إجراءات تحرير التجارة. على الصعيد الاجتماعي تم تأسيس الجامعة الافتراضية السورية، الأولى من نوعها في الشرق الأوسط، إلى جانب ثلاث جامعات خاصة مملوكة وممولة ذاتياً. الهواتف الخلوية، الصحف والمجلات ومحطات الإذاعة الخاصة وأطباق الاستقبال الفضائي (الدش) جميعها دخلت حياة المواطن السوري من أوسع أبوابها. المؤسسات غير الحكومية باتت تجد لها موطئ قدم داخل أوساط المجتمع المدني. خلال السنة الأخيرة فقط تغير خط أفق مدينة دمشق بفعل وتيرة الزحف العمراني الجديد المتسارعة. هنالك اللوحات الإعلانية الضخمة البراقة والمجمعات الاستهلاكية الجديدة وآخر صرعات الأزياء ذات الماركات العالمية وفنادق الخمسة نجوم والمطاعم الحديثة. لقد كشفت سورية عن استراتيجيتها المعلوماتية الطموحة التي تهدف إلى حث أبنائها للسير على هذا طريق.



### - الألفة في الريف السوري -

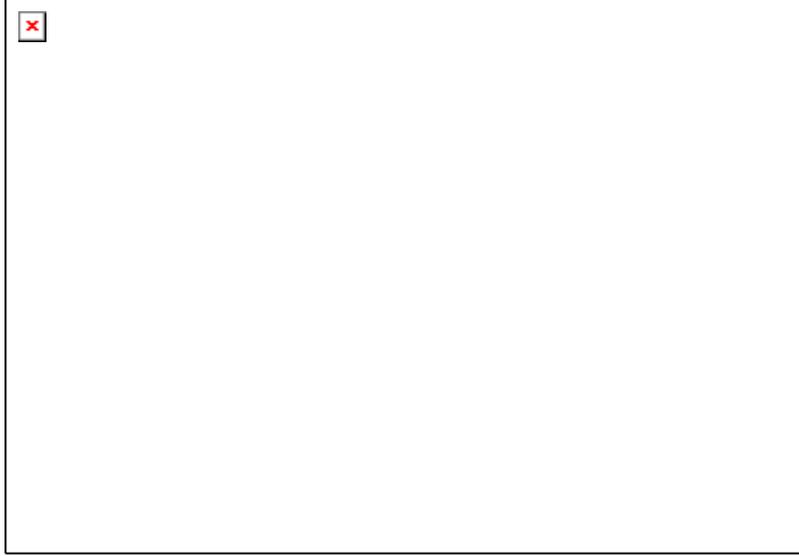
التغيير واضح هنا هذه الأيام - من شوارع دمشق إلى الطرقات في القرى والبلدات. صديقتنا "أهرام" التي تعيش في قرية صغيرة تبعد ٨٠ كم عن مدينة حماة، تتحدر من عائلة قوامها عشر أخوة وأخوات. رغم أن والدها لا يزال مزارعاً، فكل شتلاته متقفة وتعمل إما في التدريس أو في العمل الوظيفي. يأملون في اقتناء جهاز كومبيوتر في البيت قريباً. هي نفسها تدرّس الفرنسية في أحد المعاهد الحكومية قرب منزلها. العربية هي واسطة التعليم، مع ذلك فإن لغة أجنبية ستدرس من الصف الأول الابتدائي فصاعداً بدءاً من العام ٢٠٠٥. في سورية تقف الكنائس القديمة الجميلة والمساجد الكبيرة جنباً إلى جنب مع مدن المعارض الحديثة. في الشوارع يمكنك رؤية الناس باللباس التقليدي إلى جانب آخرين بآخر صرعات الموضة. الصوت الآخر الذي يتردد صداه في الأجواء إلى جانب الأذان التقليدي هو صوت هواتف الموبايل. في الأمسيات تحتشد العائلات في الحدائق العامة والخاصة إلى جانب شبان وفتيات يعرجون على المكان لبعض الوقت طلباً لقدر من العزلة.



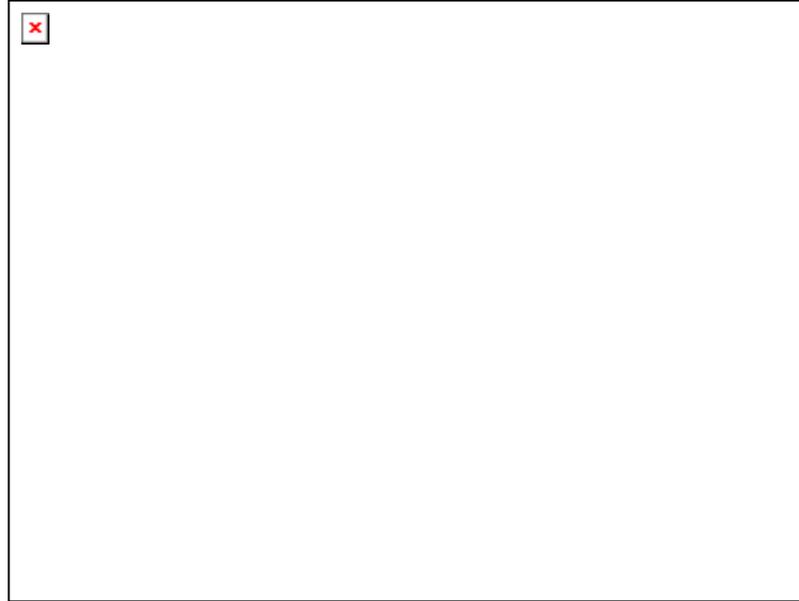
حوض بناء القوارب - أرواد.

## المطبخ السوري:

يعد تناول الطعام خارج المنزل من الهوايات المفضلة لقضاء الوقت لدى بعض شرائح المجتمع السوري. المطبخ السوري هو مزيج من المطبخ الشرقي والمتوسطي. المقبلات التي تفتش الطاولة لحظة جلوسك في أحد المطاعم كافية لإبصال كليهما العين والمعدة إلى حد الشبع! تشكيلة لذيذة من أنواع الحساء والمسحّة والمتبل المغطاة بزيت الزيتون، إلى جانب سلطات الفتوش والتبولة وأنواع الكبة والبطاطا المقلية والخبز التي يمكن أن تشكل بمفردها وجبة كاملة. الزيتون - الأخضر أو الأسود - يمكن أن يدخل أيضا ضمن قائمة المقبلات هذه. الوجبة السورية مصممة لأن تكون مطولة - السوريون يمكن أن يمضوا من ثلاث إلى أربع ساعات على الوجبة الواحدة! عندما يعتقد المرء بأن وقت التحرك قد حان، تصل الوجبة الرئيسية. إنها بحق عبارة عن طبق كبير من أنواع الشقف والكباب المغطاة بطبقة رقيقة من الخبز لحفظها ساخنة. الحلويات السورية اللذيذة أو فاكهة الموسم تشكل "العقبي" أو "التحلاية" التقليدية في ختام الوجبة. الفاكهة الطازجة والغضة متوفرة هنا بكثرة. البرتقال، التفاح، العنب، الكيوي، الخوخ، المشمش، وحتى الصبار - جميعها تشكل جزءاً من سلة الفاكهة السورية. ختام الوجبة هو عادة الشاي العربي - شاي أسود مع السكر.



- الطعام.. بهجة القلب.. المعدة -



- خبز الصاج .. تقليد لا زال حياً-

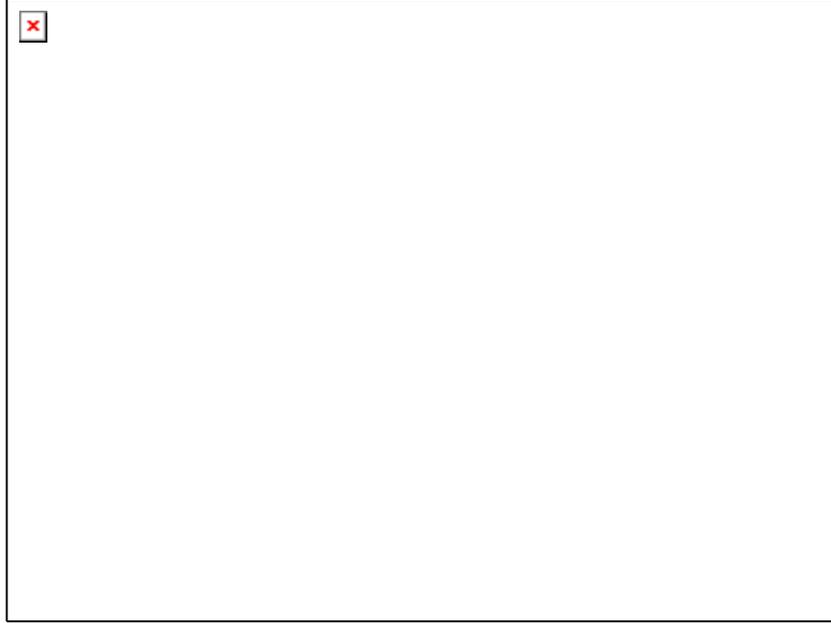
سواء في فندق خمس نجوم، في أحد مطاعم المدينة القديمة أو أحد السناكات الطرقية - المطبخ هو ذاته في كل مكان. تنوعه الفريد يؤمن لرواده من شتى أنحاء العالم ما يروق لهم تناوله دون تردد!.

بالنسبة لأولئك الباحثين عن لقمة سريعة، فإن سندويشة شاورما لحم الدجاج أو الفروج المشوي خلف واجهات العرض متوفرة في كل مكان.

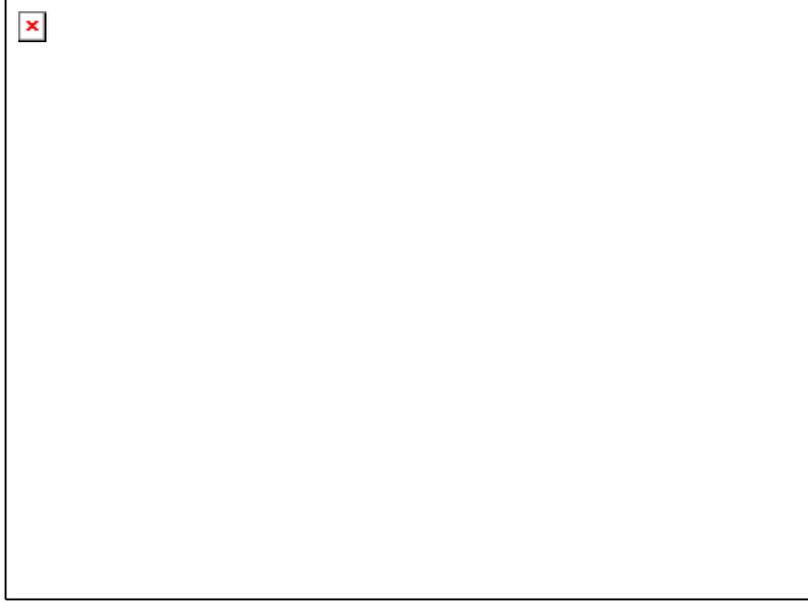
إن شيوع عادة تناول الطعام خارج المنزل تتعكس في حجم المطاعم في سورية. إن المطعم السوري العادي يمكنه استيعاب ١٠٠-١٥٠ شخص. في المنتجعات السياحية وقرب المدن الكبيرة يمكن لمصانع الطعام هذه أن تستوعب حتى ٣٠٠٠ شخص دفعة واحدة.

## الفنون والمهن اليدوية:

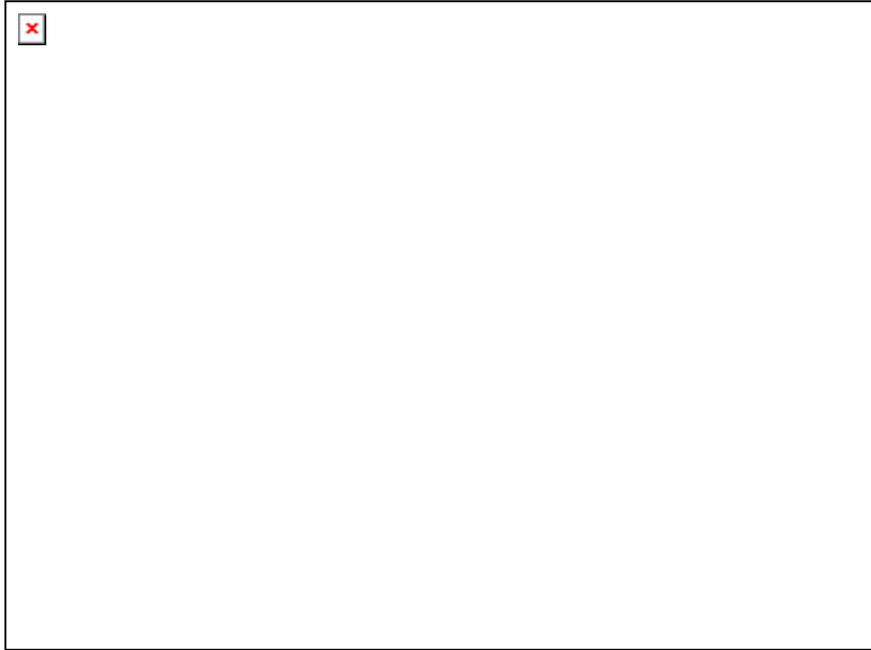
تمثل سورية تشكيلة فريدة بين الأصالة والحداثة. فنونها ومهنها اليدوية تشاهد في كل مكان. سواء في مكتب محافظ دمشق أو مكتب رئيس غرفة التجارة، يذهل المرء لروعة الأثاث والتصاميم الدمشقية ودقة صنعها على الجدران والخزائن والسقوف. أسواق دمشق وحلب تقدم تشكيلة مذهلة من الصناعات اليدوية السورية التي تشمل الأثاث الخشبي المحفور والمطعم بالصدف والسجاد وصناعات يدوية مثل الخشبيات المطعمة بالفضة من طاولات النرد إلى علب المجوهرات والطاولات الصغيرة والسيوف الدمشقية ونسيج الكنفا وأغطية الطاولات والرسم على الزجاج والقفطان الصوفي والملابس الحريرية. بعض الخانات القديمة تحولت اليوم إلى أسواق للمهن اليدوية من أجل الزوار. سوق السلبيانية قرب جامع التكية السلبيانية في دمشق هو خير مثال عن مثل هذه الأسواق. إن جمال النسيج الملون و المطرز لأهل البدو والتطريز المعقد للأرياء الفلسطينية يسر العين ويهيج القلب.



نقوش رائعة ودقيقة - مكتب عنبر -



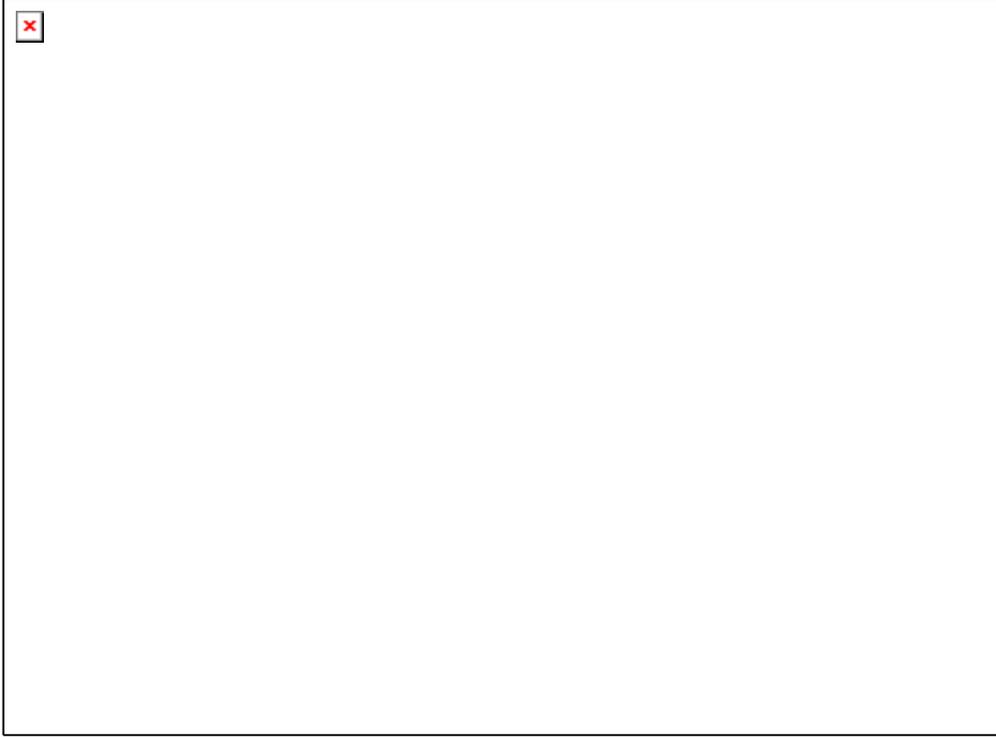
- مطعمات صدفية - مشغولات يدوية دمشقية -



- فن الحياكة الدمشقي الجميل -

في دمشق، تبدو الأضواء المتلألئة في قاسيون وكأنها منارات. غالباً ما نشق طريقنا إلى هناك طلباً لنسمة هواء عليل. في أمسيات الصيف المنعشة يضيق المكان بزواره وسياراتهم، ومع ذلك يبقى هنالك إحساس بالخصوصية والعزلة. حين لا يكون الناس في تلك المطاعم المضاعة المعاقاة فوق الجروف الصخرية، تجدهم منتشرين فوق بسطهم وكراسيهم المتقلبة، أو

فوق الصخور المشرفة على المدينة يتنسمون هواء الصيف العليل مع تدخين النرجيلة أو احتساء الشاي. النرجيلة أو "الأركيلة" هي جزء لا يتجزأ من التقاليد العربية.

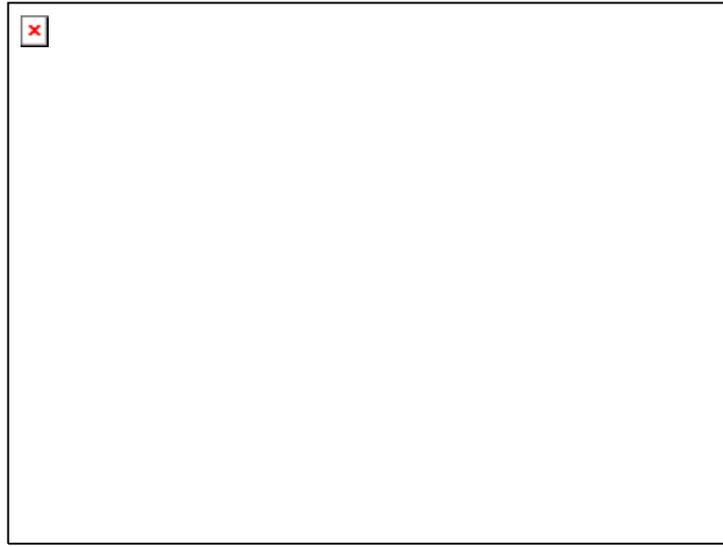


- هرات النارجيلة -

النساء والرجال، الشباب والشيوخ سواء بسواء يدخنونها في المطاعم والمقاهي وحتى على شاطئ البحر. الناس ينادون بطريقة مهذبة مرحبة عندما يلمحون أجنبياً عارضين عليه طعامهم وشرابهم ؛ ومعظمهم ملم على الأقل بأهم العبارات بالإنكليزية " أهلاً وسهلاً بكم في سورية ".

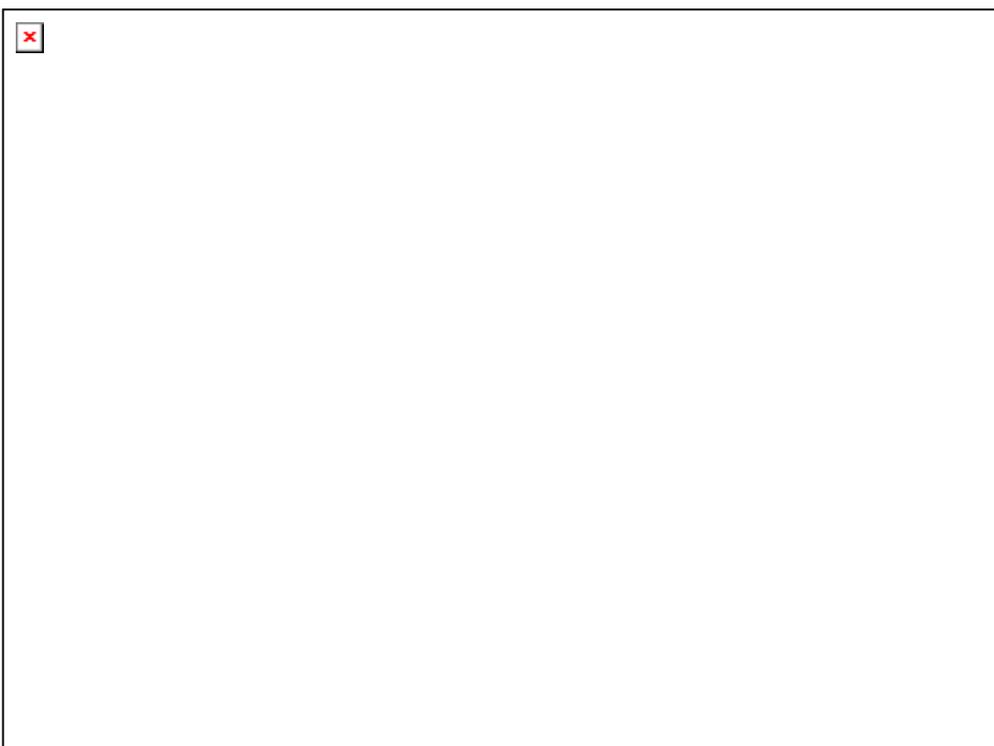


- موسم الصيف على ضفاف بردى -



- موسيقى الصحراء -

هنا تكمن جمالية هذه البلاد وشعبها. هنا بوسع المرء ألا يحس بالوحدة أو الغربة أو الوحشة أبداً. إن ود وكرم الشعب السوري يحيط بالمرء حيثما كان.



لعبة البرجيس - نشوة الانتصار.



## مواقع تاريخية

### ماضية حاضرة

كانت فترة العيد، وقررنا زيارة الجامع الأموي - قلب مدينة دمشق القديمة. كانت أول زيارة لنا إلى جامع على الإطلاق، و لم يكن معنا أي مرافق محلي. تملكنا بعض التردد ونحن نطأ مكاناً لم نألفه من قبل. خلال فترة العيد يغلق الجامع بوابته الرئيسية عادة. لكن البوابة الجانبية كانت مفتوحة. فتيان بملابس أنيقة كانوا يجوبون الشوارع القديمة حول الجامع الأموي احتفاءً بالعيد. دلفنا إلى الباحة الفسيحة الرائعة بروؤس مغطاة وأقدام حافية بعد أن وضعنا أحذيتنا في حقائب من البلاستيك حملناها معنا احتراماً لقدسيتها المكان. في إحدى زوايا الباحة الرحبة شد انتباهنا بناء جميل أسطواني الشكل محمول على أعمدة، تبنا فيما بعد أنه كان يستخدم كبيت للمال في تلك الأيام. تروي القصة بأن سبعة مفاتيح كانت تستخدم لفتح الخزانة، كل مفتاح مع خازن مستقل، ولكي يتم فتحها كان لابد من حضور الخزانة السبعة مجتمعين.



- بيت المال - الجامع الأموي.

دخلنا إلى الجامع. إنه كبير ورائع ومترامي الأطراف. أرضية الجامع مفروشة بالسجاد بالكامل وسقفه الخشبي المنقوش مزين بأفخر أنواع الثريات. يقال بأن الجامع يستوعب ٣٠٠٠ مصلي دفعة واحدة وقت الصلاة.

جلسنا لبعض الوقت. مجموعة من النساء كن مجتمعات في إحدى الزوايا، وفي زاوية أخرى شاهدنا بعض الطلبة منهمكين بالدراسة وبعض الصبية يقفزون مرحاً فوق السجاد. كان هناك شعور مطلق بالأمان والسكينة. في وسط الجامع كان يتوضع ضريح القديس يوحنا المعمدان أو النبي يحيى. يتميز البناء من الأرضية حتى منتصف الجدران والأعمدة بالطراز المعماري الروماني- الإغريقي بشكل واضح، وما فوق ذلك المستوى تتحذب الجدران على شكل قبة إسلامية. للجامع الأموي ثلاثة مآذن، أطولها هي "مئذنة عيسى" التي تعد رمزاً للعقيدة التي يحملها الإسلام والمسيحية بأن السيد المسيح سيهبط من السماء إلى الأرض عبر هذه المئذنة لمحاربة أعداء المسيح قبل يوم القيامة.

ما زال موقع الجامع الأموي الحالي يعد موقِعاً مقدساً منذ الألف الثاني قبل الميلاد. فقد سبق للأراميين أن بنوه معبداً في القرن التاسع قبل الميلاد؛ ثم جاء الرومان ليحولوه إلى معبد الإله "جوبيتر" ثم حوله المسيحيون إلى كنيسة القديس يوحنا المعمدان. وفي العام ٧٠٥ للميلاد بنى الخليفة الأموي السادس الوليد بن عبد الملك الجامع الحالي كتحفة معمارية ليس لها نظير.

التاريخ المخبأ في ثنايا وحنايا الجامع الأموي يتكرر في تغضنات وثنايا كافة الأوابد القديمة القائمة في سورية اليوم. إن مجرد إقامة قصيرة في سورية هي كل ما تحتاجه للتعرف إلى جانب من جوانب الحياة خلال العصر البرونزي مروراً بالحقبة الرومانية فالبيزنطية فالصليبية ثم العربية والعثمانية. بالنسبة لطالب التاريخ المتردد، فإن لوحة الحضارة السورية تجسد له قيمة التعرف إلى التاريخ وتسهل أمامه مهمة معرفة الحاضر.

أعمال التنقيب الأثري في عمق الحضارة الإنسانية

- ماري -



عالم الآثار الفرنسي "أندريه باروت" قال عن ماري: "سيستغرق منا ٢٠٠ عام أخرى لنستكمل اكتشاف ماري". واحد من البدو الرحل اكتشف ماري صدفةً بالقرب من مدينة دير الزور. بعد مضي ٧٥ عاماً على ذلك الاكتشاف لا تزال الآثار الهائلة غير المكتشفة لماري تلهب على الدوام حماس وخيال المكتشفين وعلماء الآثار. حضارة منسية بالكامل يمكن الإحساس بها في هذا الموقع القديم. عندما يدخل المرء العالم السحري لهذا الموقع تقوده قدماء نحو كهف أشبه بممر غامض. في الداخل يوجد قصر الملك "زمرى-ليم" الذي حكم ماري من ١٧٨٢ حتى ١٧٥٩ قبل الميلاد. يضم هذا القصر ٣٠٠ غرفة ؛ وباحات ومخازن ومكتبة تضم حوالي عشرين ألف لوح مسماري. هنالك قصر آخر يقع أسفل هذا القصر يعود إلى ما قبل عهد ساراغون حوالي ٢٣٥٠ قبل الميلاد. عدد كبير من التماثيل جرى اكتشافها في هذا المكان. يوجد في المدينة شبكة ممتازة لتوزيع المياه والأبنية كانت مصنوعة من الحجر غير المشوي المغطى بطبقة رقيقة من الصلصال. إنها تجربة فريدة أن تتمشى عبر هذا الرواق الزمني الذي يعود بك إلى ٥٠٠٠ عام.

عندما نتقدم بضعة قرون إلى الأمام نجد أنفسنا في قلعة الحصن. على الطريق من دمشق إلى مدينة طرطوس الساحلية تشمخ أمامك قلعة صليبية مهيبية. عندما تبتعد عن دمشق يبدأ المشهد الصحراوي يتراءى أمام ناظريك. إنه مشهد صخري قاحل تتخلله رقع خضراء من أشجار الزيتون. بالوقوف على أنف الجبل في الفتحة الجبلية الاستراتيجية الوحيدة بين لبنان وتركيا تقع قلعة الحصن. بعدها، كما كانت عليه الحال في تلك الأيام، لا تزال لهذه الفتحة أهميتها الاستراتيجية حتى يومنا هذا. هذه القلعة التي يناهز عمرها ٨٠٠ سنة لا تزال تقف شامخة حتى اليوم. الزائر يحتاج ٤-٥ ساعات لكي يستمتع حقاً بالتجوال عبر امتداداتها الفسيحة وتأمل خطوطها الدفاعية المعقدة. بالنسبة للعين الهندية المعتادة على القصور والقلاع المنقوشة والمزخرفة، تبدو هذه القلعة لأول وهلة بسيطة المظهر، لكن لخطوطها الصارمة والقوية جماليتها وهيبتها. تمسينا عبر المتاريس والتحصينات التي تظهر لنا بوضوح العمارة المميزة للبنائين الأوائل "الصليبيون"، والفاحين "المسلمون". هذه الشبكة من الأنماط المعمارية المتميزة تتداخل في تركيبية واحدة تحافظ على الجوهر المميز لكل منها كما هو.



فن العمارة الإسلامي والمسيحي في قلعة الحصن - ملتقى الحضارات.



- قلعة الحصن المهيبة -

إن حكاية الصليبيين في سورية لا يمكن سردها دون الإتيان على ذكر صلاح الدين - البطل الإسلامي العظيم الذي هزم الصليبيين. في عام ١٩٥٧، أصدرت الحكومة السورية مرسوماً ينص على تغيير اسم "قلعة صهيون" إلى "قلعة صلاح الدين" إحياءً لذكرى السيطرة

على القلعة من قبل المسلمين في عام ١١٨٨. قلعة صلاح الدين تتوضع على جرفٍ صخري في أعماق الجبال جنوب مدينة اللاذقية. عندما انتزعه الصليبيون من أيدي البيزنطيين حوالي عام ١١٠٠، استكملوا بناء القلعة بخندقٍ مهيب شكل السمة الهائلة المميزة لهذه القلعة والتي تدين إليه بسمعتها كقلعةٍ حصينة. أسوار القلعة تنتصب بشكل عمودي فوق ملتقى جدولين. المنطقة حرجية كثيفة. إن زيارةً إلى هذه القلعة تعد تجربةً طيبة كونها تتطوي على عملية تسلقٍ شاقة عبر درج صخريٍ طويل يوصلك إلى برجها.



#### - الآثار العظيمة لقلعة صلاح الدين -

المكافأة التي تجدها بانتظارك هناك هي واحدٍ من أروع المشاهد الطبيعية لسلسلة الجبال الساحلية ولمرأى البحر عن بعد في سورية. إن عملية التسلق بين الأسوار الدفاعية للقلعة نحو السطح الأخير يوفر لك تجربةً لا تنسى من الخضرة والهواء العذب. في أعماق الغابة، بوقوفك على تلةٍ مشرفة، ترى بأن هذه القلعة التي لا تزال محافظةً على شكلها تشكل نقيضاً للمشهد الصارم والقاحل الذي تراه من قلعة الحصن.

عند هذه النقطة ينبغي علينا الانعطاف لإلقاء نظرة خاطفة على العصور الرومانية. كنا نعزف موسيقى إحدى الأفلام الهندية في الحافلة التي كانت تقلنا إلى تدمر.

"لديكم أغاني شامي كابور - سوكو سوكو!"

سأل سائقنا الأربعيني.

إن روابط بوليوود تربط ما بين الهنود والعديد من الشعوب من خلال خيوط مختلفة! فجأةً لاحت أمامنا على البعد بقعة خضراء غناءً عند حافة أفق الصحراء. إن أشجار البلح في الواحة التدمرية ما برحت ترحب بزوارها عبر القرون. عندما اقتربنا أكثر، تراءت لنا من وراء الأشجار الحواف العليا للحجارة الرملية الوردية تتلألأ تحت أشعة الشمس.

لقد ورد ذكر تدمر في سجلات تعود إلى القرن الثامن عشر قبل الميلاد. لقد جلبت التجارة معها الرخاء والازدهار وشهدت المدينة قمة مجدها من القرن الأول قبل الميلاد حتى القرن الثالث للميلاد. بعدها، وقعت المدينة فريسة الغضب الروماني لأن ملكتها الأسطورية زنوبيا تجرأت على إعلان استقلالها عن روما. إن صورة تمثال زنوبيا المهيب وآثار تدمر تزين اليوم ورقة النقد السورية من فئة الخمسمائة ليرة.

كنوز تدمر منثورة في العراء - عرضةً لعوادي الزمن عبر القرون. القوس التذكاري عند مدخل الموقع القديم هو رمز تدمر. خلفه يمتد الشارع المعمد العظيم للمدينة القديمة وأمامه يقع معبد الإله بعل.



- قوس تدمر الأثري -

بالجلوس وحيداً على أحد الأعمدة المحطمة بوسعك تأمل هذه الأبدية بشكل أفضل. عندها تستيقظ المدينة من سباتها في عقلك الباطن بضجيج أسواقها وحماماتها ومجلس شيوخها وساحتها الرئيسية.

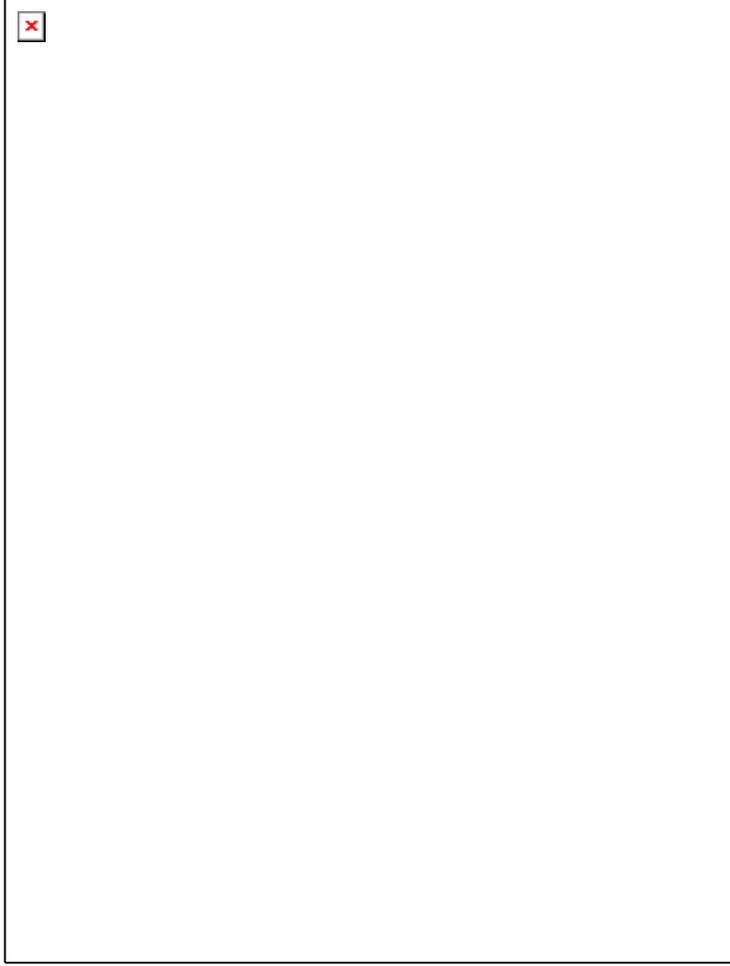


### - أعمدة الحضارة -تدمر -

إن خيال المدينة يبدو وكأنه يتمتم خلف كل حائط ومبنى. هنالك مدرج روماني جميل يتسع لخمسة آلاف متفرج تم إعادة ترميمه وتقام فيه اليوم المهرجانات الفنية السنوية. إن لشواهد التاريخ القدرة على تحريك شيء ما بداخلنا - إحساس بالرهبة وإدراك بأننا ننتمي إلى مد حياتي أزلني لانهاضي.

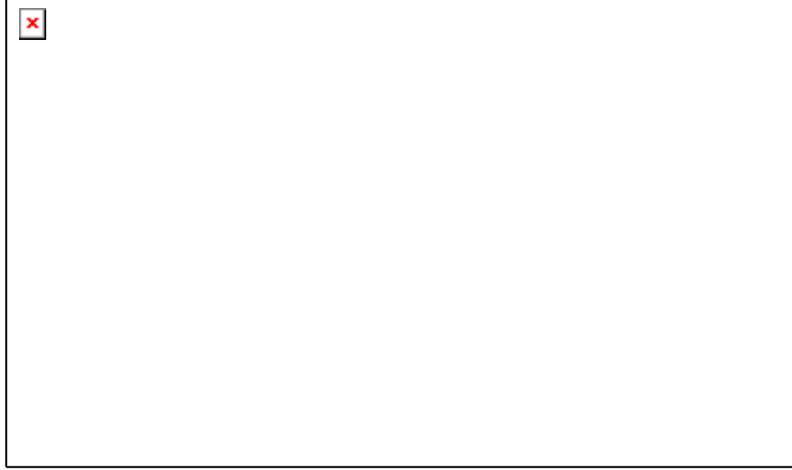
معبد الإله بعل يحتفظ لنا بأسرار تاريخ العبادة. في البداية، بعل - إله السماء - كان يعبد هناك. بعدها أصبح المعبد كنيسة ثم جامعاً. عندما أعيد اكتشاف مدينة تدمر خلال ثلاثينيات القرن الماضي، القرية برمتها كانت تعيش داخل معبد الإله بعل! المعبد يشابه في تصميمه الأديرة السامية. يوجد مذبحان في المبنى الرئيسي يواجه كل منهما الآخر. سقف أحد المذبحين يشبه سقف أي معبد هندوسي - إنه على شكل زهرة لوتس مقلوبة. تشاهد على الجدران أيضاً تصاوير واهية لأيقونات مسيحية ومحراب إسلامي. صف من الأعمدة الضخمة يحيط بالحرم المقدس. خارج أسوار المعبد كان هنالك مجموعة من الجمال والخيول المزينة مخصصة لركوب السياح. في الداخل، كانت النسائم الرقيقة تروي حكايا القرون الخوالي.

مدينة الموتى كانت تشرف على مشهد المدينة الأثرية من فوق الهضبة المجاورة. مقابر الأبراج كانت تنتصب كأعمدة مراقبة فوق التلال المحيطة. بدءاً من المستوى الرابع لمقبرة عائلة إلابيل (١٠٣ للميلاد) يتراءى أمامك مشهد بانورامي للأوابد والمساحة الخضراء للواحة وكأنه مشهد تراه لأول مرة.



- المثوى الأخير.. المدافن التدمرية -

لمشاهدة أثر آخر من الآثار الرومانية الأسرة، انطلقنا جنوب دمشق نحو مدينة بصرى. عند البوابة الرئيسية المؤدية إلى المدينة القديمة تجد العديد من عربات النقل الجذابة جداً ذات العجلتين التي يجرها جواد بانتظارك لتقلك عبر أزقة المدينة القديمة. من خلال تجربتنا تبيننا أن التجوال في أنحاء الموقع هو أفضل طريقة للتعرف إلى النكهة الحقيقية لأي مكان مماثل.



### بصرى.. المدينة وما خلفها.

على عكس تدمر، التي لا يكفي يوم واحد للاستمتاع بمشاهدتها، يمكن استكمال مشاهدة بصرى في نصف يوم. أول ما يشد انتباه الزائر في بصرى هو اللون الأسود للحجارة المستخدمة في بنائها والتي تضيء على المكان جواً من الجلال والسكينة. أبرز المشاهد السياحية في المدينة هو المدرج الروماني الضخم الذي يعود إلى القرن الثاني الميلادي. عند دخولك القلعة المطلّة على المدرج، تشعر وكأنك تدخل إلى أية قلعة عربية من قلاع العصور الوسطى. بتسلق السور الخارجي تطالعك على حين غرة هناك في الأسفل أرتال وأرتال من الأفاريز (الأدراج) المحيطة بالمرح. العمق والحجم الهائل للمسرح يحبس الأنفاس. يمكنك إلقاء نظرة بانورامية على مدينة بصرى من فوق متاريس المسرح. في الأمام خلف الأسوار، هناك جامع يتألق تحت أشعة الشمس.



### مدرج بصرى.. إعجاز أبدي.

يستضيف المسرح اليوم عروض فرق الأوبرا والموسيقى والرقص المحلية والعربية والعالمية خلال أشهر الصيف. عند الستارة الخلفية الأنيقة المضاءة للمسرح، ومع أنغام الموسيقى المرححة الصادحة، يمكنك أن تنسى بسهولة أنك في القرن الحادي والعشرين. المسرح مصمم بطريقة لا تحتاج معها لأية مكبرات صوت، حتى أمام جمهور من عشرين ألف متفرج متكئين على المقاعد الحجرية ونسائم الصيف تنساب من حولهم.

تقول الرواية بأن النبي محمد (ص) كان قد قدم إلى مدينة بصرى بصحبة عمه أبي طالب خلال إحدى الرحلات التجارية لقوافل قريش قبل البعثة وكان عمره ثلاث عشرة سنة، ويقال بأن أحد الرهبان المسيحيين في بصرى ويدعى "الراهب بحيرة" تنبأ لأبي طالب بعد أن رأى علامات النبوة على الفتى، بأن ابن أخيه محمد هو النبي "أحمد" الذي بشر به عيسى طالباً منه العودة به سريعاً إلى مكة قبل أن يكتشف اليهود أمره ويقتلوه.

خارج هذه القلعة والمسرح توجد المدينة القديمة ببواباتها ومساجدها وبقايا كاتدرائيتها القديمة. الشيء الملفت للنظر أكثر من غيره هو أن القرويين لا يزالون يعيشون داخل هذه الأوابد، وأن آثار بصرى آلت إلى مساكن لقاطنيها الحاليين، وبإمكان المرء رؤية الملابس المنشورة ترفرف مع النسيم وهوائيات أطباق الاستقبال ترصع أسطح المباني القديمة.

لقد شهدت الحقبة الرومانية ظهور وأقول العديد من المدن الهامة. لقد أدى استخدام طريق تدمر من قبل الرومان إلى بروز مدينة حلب كمدينة بالغة الأهمية.

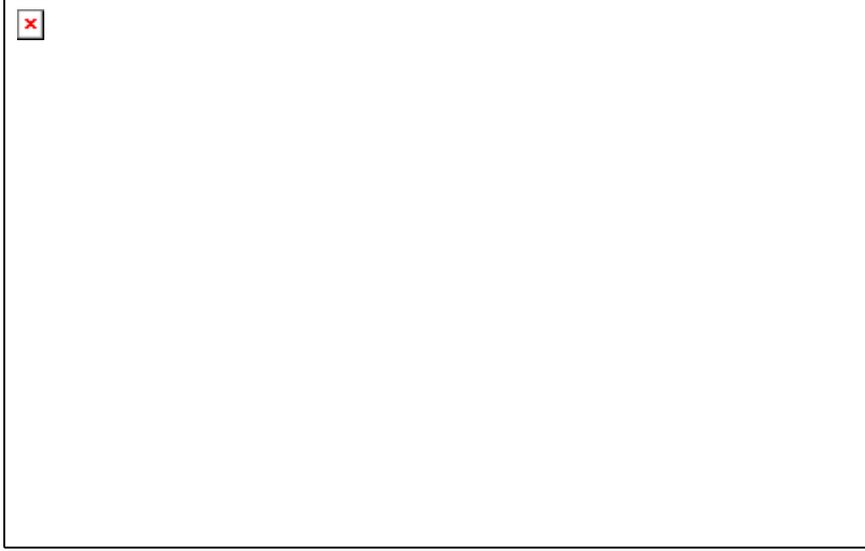
بتوضعها إلى الشمال من دمشق، يتوجب على قاصد حلب المرور بمدينة حماة. على بعد حوالي ١٦٠ كم عن دمشق، يحيط حوض العاصي الأخضر الخصب بالطريق الدولية. يجري

نهر العاصي عبر وسط مدينة حماة التي تبعد عن مدينة حمص حوالي ٤٠ كم. لا بد لك من انعطافة عن الطريق الدولية نحو هذا الفردوس الأخضر الجميل. أجمل ما في هذا الوادي هو نهر العاصي ذاته الذي يجري عبر وسط المدينة تتخلله النواعير القديمة الضخمة والتي يبلغ قطر الواحدة منها حوالي العشرين متراً. تم بناء هذه النواعير في القرن الرابع عشر لتسخير مياه النهر لأغراض السقاية ضمن حدود المدينة. إن صوت أنين أو "عينين" هذه النواعير هو أشبه بصوت عربة ثيران ضخمة يتردد صداها في أنحاء المدينة. وقد تم الإبقاء على بعض هذه النواعير قيد العمل من أجل الزوار، فهي تمثل أعجوبة هندسية تستخدم طاقة المياه نفسها للدوران وصب المياه في الصناديق الخشبية التي تسكبها بدورها في أفنية خاصة مبنية في الأعلى. هنالك حديقة عامة تحيط بالنواعير والعديد من المطاعم المطلة على النهر الجميل بمعجزاته القديمة.

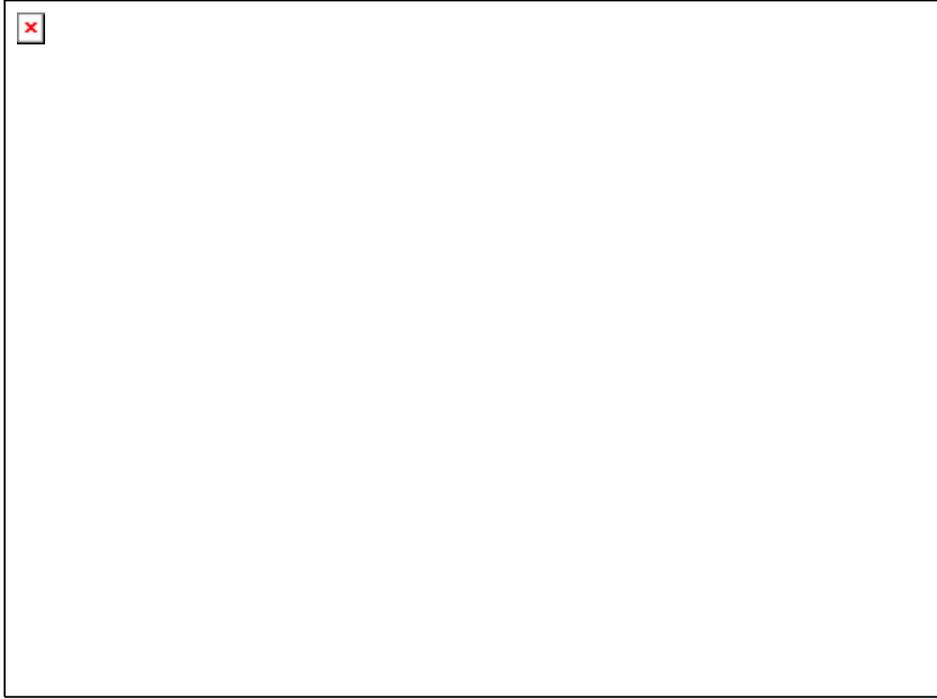


### النواعير - حضارة الري قديماً.

ثمار السقاية تبدو ظاهرة للعيان على مجمل المساحة الممتدة بين حماة وحلب. في حلب هنالك القلعة الشهيرة الرابضة كالحارس فوق تلة صغيرة، مواظبة على مراقبة هذه المدينة خلال الخمسة آلاف سنة الماضية. القلعة محاطة بخندق عميق. خط الدفاع الأول عن القلعة يؤدي إلى تحصينات عظيمة ومنيعة عند المدخل. الزوايا التي بنيت عليها البوابات تشكل بحد ذاتها آليات دفاعية. أبواب المداخل ذاتها صماء، لكنها مزخرفة بأناقة. رؤوس المسامير مصممة على شكل أفاعي متشابكة ونضوات خيل وأسود مبتسمة أو باكية، وبالطبع عبارات دينية. في الداخل، بوسع المرء أن يشاهد آثار وبقايا العديد من الحكام والغزاة. المسرح في الداخل أعيد بناؤه لإقامة الأمسيات الثقافية. أكثر ما يشد الانتباه داخل القلعة القديمة هو أثر معاصر. غرفة العرش للقصر الملكي التي بنيت في القرن الثالث عشر تم ترميمها وتزيينها بواجهات الخشب المطعم بالصدف والثريات الفريدة والأعمال الخشبية المنجزة في هذه الأيام. وهي الآن تستخدم كصاله للولائم والحفلات الرسمية. ما يزال هنالك الكثير من الأسرار غير المكتشفة داخل القلعة والتي تنتظر وصول عمليات التنقيب إليها.



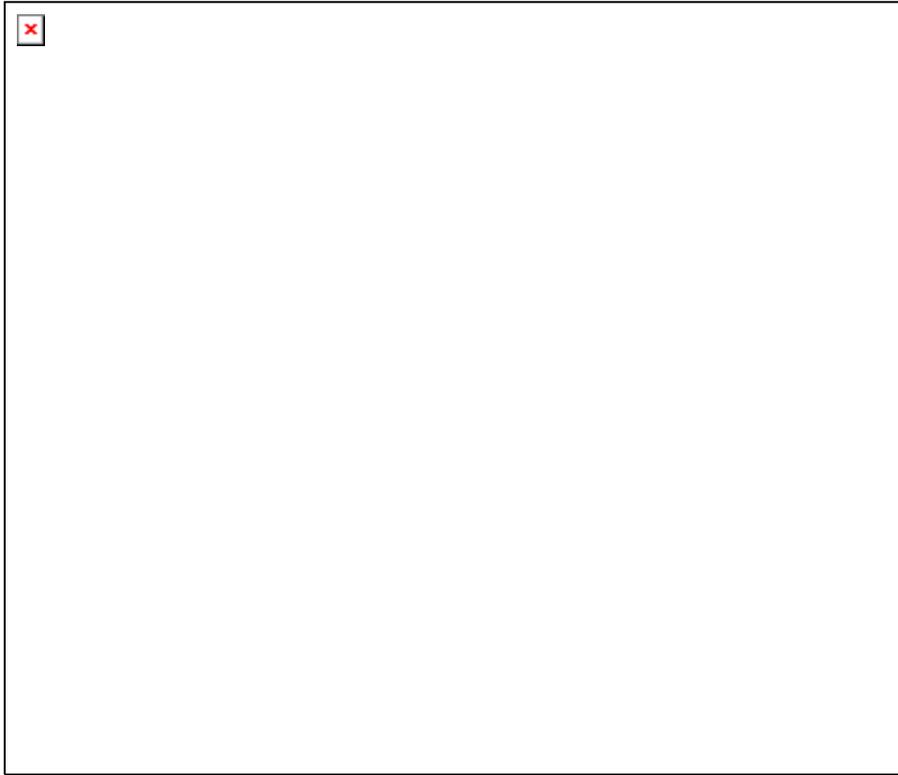
دورا يوروبوس - بوابة آسيا وأوروبا



- بوابة القلعة.. إيقونة حلب -

لعل السلوقيين هم أول من بنى أول قلعة في هذه الموقع، لكنها لم تصل إلى قمة مجدها إلا في العهد البيزنطي والصليبي. الإغريق أيضاً كانوا فاتحين وبنائين عظاماً. عند هذه النقطة دعونا نعود في الزمن إلى أيام دورا يوروبوس. بفضل وسائل الري الحديثة، أصبحت الطريق الواصلة بين دير الزور ومدينة البوكمال شرق سورية طريقاً ممتعة جداً للقيادة. على بعد حوالي ٤٠ كم من دير الزور يشد الانتباه مجموعة من الآثار. إلى اليمين من ضفة الفرات العظيم مباشرة تهجع مدينة قديمة. في موقعها المشرف على النهر الذي يقع أسفل منها بتسعين

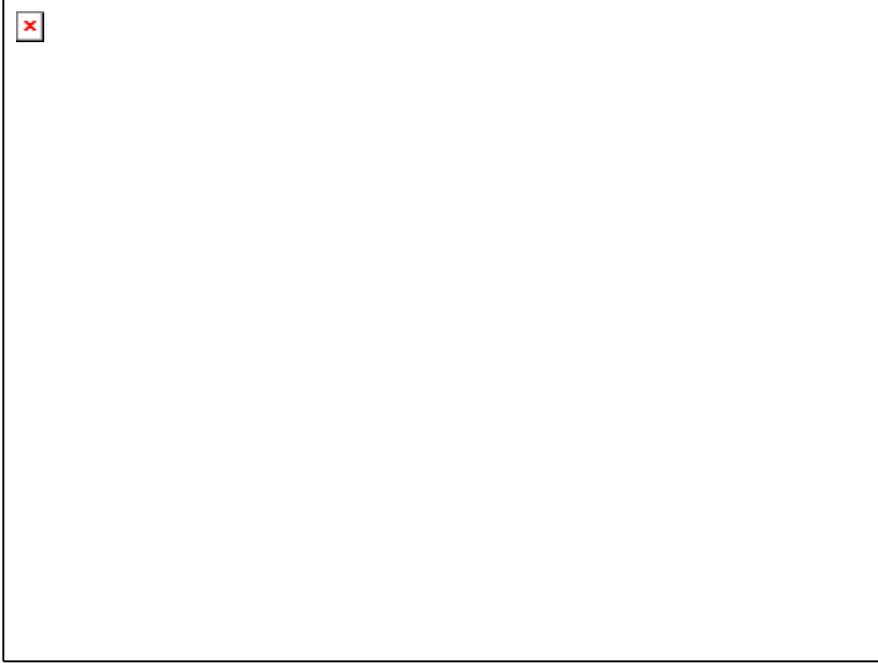
متراً أسس نيكاتور، أحد ضباط الاسكندر، هذه المدينة التي استخدمت كخط دفاعي متقدم بالغ الأهمية حتى في العصور الرومانية. دمرها الساسانيون عام ٢٥٦ للميلاد، ثم أعيد اكتشافها عام ١٩٢١ من خلال بعض اللوحات الريفية التي وجدت هناك. وهي الآن أحد المواقع التاريخية الهامة في سورية. للمدينة أسوار محيطة واسعة و١٦ موقعاً دينياً لعقائد مختلفة وقلعة ومسرح وسوق وحمامات وعدد من الكتابات بلغات مختلفة كالبارثية والتدمرية واللاتينية. بالوقوف على هذه الآثار والفرات العظيم يتلوى ويتموج قربك يدرك المرء أهمية هذه الموقع كنقطة تقاطع ومرفاً نهري ومحنة استراحة للقوافل.



#### قلعة حلب- تراث عالمي

آثار أفاميا، هي موقع سلوقي هام آخر أسسه الملك سلوقس الأول نيكاتور أوائل القرن الثالث قبل الميلاد يقع على مسافة ٢٥٠ كم من دمشق إلى جهة الشمال. تم إطلاق أسم "أفاميا" على هذه المدينة تكريماً لزوجته الفارسية أفاميا.

اختار السلوقيون الموقع بعناية. إنه تضاد دراماتيكي بين الحجر الرمادي والمروج الخصبة الخضراء والمعالم البعيدة لسلسلة جبال العلويين. بتوضعها وسط سهول العاصي الغناء، تتخذ هذه الآثار لنفسها موقعاً مميزاً.



### خان أصبح متحفاً - آفاميا.

أصبحت آفاميا أحد المراكز الرئيسية الأربعة لدولة سورية السلوقية - المركز الرئيسي إلى جانب كونها قاعدة عسكرية استراتيجية على عقد المواصلات الرئيسية الشرقية/الغربية والشمالية/الجنوبية. أراضيها الغنية الخصبة كانت توفر الكأ والمرعى لخيول الملك. في العام ٦٤ قبل الميلاد فتح الرومان بقيادة بومبي المدينة. لعبت المدينة تحت حكم الرومان دوراً أساسياً كقاعدة عسكرية هامة. عدد سكانها آنذاك كان يقارب ١١٧٠٠٠ ألف نسمة. لقد وصلت شهرة كاهنها ومعبدها (معبد الإله بعل) حتى جنوب فرنسا وكانت تشتهر أيضاً بشكل خاص بمزج خمورها بالعسل! في أعقاب زلزال مدمر ضرب المدينة عام ١١٥ ميلادي، أمر الإمبراطور الروماني "تراجان" بإعادة بناء المدينة. القرن الثاني الميلادي كان فترة ازدهار بالنسبة لآفاميا، ومعظم الآثار التي نشاهدها اليوم - المسرح، الحمامات، المعابد والفيلات - جرى بناؤها خلال هذه الفترة.



#### هكذا يمتد التاريخ - آفاميا.

على امتداد الطريق نحو الآثار يشاهد المرء نواعير صغيرة تزين نهر العاصي. قبل الانعطاف نحو الموقع يوجد جامع الفسيفساء. خان عثماني قديم جرى تحويله إلى متحف. الخان بحد ذاته يعد أنموذجاً رائعاً عن الطراز المعماري للقرن السادس عشر. كان بمثابة محطة استراحة هامة للحجاج المتوجهين إلى مكة. عندما يكون القائم على المكان في مزاج رائع يمكن أن يفتح جميع الأبواب أمام الزوار، وإلا يكتفي الزائر باستراق النظر من وراء الشبك الحديدي والاستمتاع بمشاهدة بلوحات الفسيفساء الضخمة والجميلة التي جرى انتزاعها من موقع أفاميا التاريخي. عدد من المشغولات الجنائزية معروضة هناك أيضاً.

أعلى الطريق الجبلية إلى اليسار تقع قلعة المضيق، التي هي قلعة أفاميا. كانت هذه القلعة قيد الاستخدام بدءاً من العهد السلوقي وكانت بمثابة حصن دفاعي للعرب في وجه الفرنجة. اليوم تشغل قرية صغيرة عصرية معظم أرجاء القلعة. من فوق المتاريس على الجهة الجنوبية من القلعة يستمتع المرء بمشهد بانورامي للحجارة الرمادية للآثار على خلفية المروج الخضراء اليناعة.

أعلى الطريق الجبلية تأتي إلى نقطة تقاطع الشارع العظيم. شارع طويل معمد يمتد على كلا جانبي الطريق الرئيسي الحديث. اللون الرمادي للحجارة يضيف إحساساً بالمهابة على الآثار. يستغرق منك حوالي ساعتين للتجوال على كلا جانبي الطريق المعمد. الطريق ممتد على مسافة ١,٨٥ كم، وهو محاط ببقايا أبنية ذات أهمية مدنية ودينية. الشارع الذي يبلغ عرضه ٣٧,٥ متراً والمزود بطريق للعربات بعرض ٢٠,٥ متراً كان يستخدم طريقاً للعربات والمركبات ذات العجلات، التي لا تزال آثارها باقية على الحجارة في بعض الأماكن. الأغنام ترعى في المساحات العشبية الخضراء وسط الآثار. كثير من أبناء المنطقة يخرجون للتنزه بين الآثار وغالباً ما يدعونك لتناول كوب من الشاي العربية أو المكسرات، وهم يرغبون في أن تلتقط لهم الصور ويدعونك بحفاوة إلى بيوتهم داخل القلعة على التلة المقابلة. كذلك يشاهد على

كلا جانبي الأعمدة بعضاً من بقايا هذه المدينة العظيمة. الساحة العامة، الحمامات، المعبد، والكنائس المتأخرة. السير عبر الشارع المرصوف بالحجارة المحاط بالأعمدة الضخمة أشبه بالسير عبر دهليز من السرمدية، فهو يبدو بلا نهاية نوعاً ما. على البعد، الجبال والخضرة المحيطة والنسائم الرقيقة وسط هذا الصمت والسكينة الرزينة للحجارة الرمادية تمنح العقل الفسحة اللازمة لتأمل كيف كانت عليه هذه المدينة قبل آلاف السنين.

بالعودة إلى الطريق الحديثة بوسع المرء إذا ما ارتقى أكثر قليلاً نحو الأعلى مشاهدة العديد من الأبنية التي تعود إلى العصرين الروماني والبيزنطي.

أهم هذه الأبنية هي الكاتدرائية المشرقية، التي تعد واحدة من أهم الصروح المعمارية في الشرق المسيحي وتعود إلى العام ٥٣٣ ميلادي. في هذه الاتجاه توجد أيضاً ثلاث منازل رومانية، جرى من بينها ترميم بيت المؤاساة. الأثر الهام الآخر الجدير بالمشاهدة هو المسرح الذي يمكن رؤيته على طريق العودة باتجاه القلعة والذي يعود تاريخه مبدئياً لأواخر القرن الثاني الميلادي. لعله كان أحد أكبر المسارح في العالم الروماني بقطر يبلغ ١٣٩ متراً وواجهة بعرض ١٤٥ متراً.

بصفتها نقطة تقاطع شرقية، درجت أفاميا على استقبال العديد من ضيوف التاريخ الكبار أمثال كليوباترا، سيبتيروس سيفيروس، والإمبراطور كراكالا. أصبحت المدينة فيما بعد مركزاً هاماً من مراكز التوحيد - حيث أن العقيدة المسيحية كانت تتكر الطبيعة الازدواجية للسيد المسيح.

هنالك العديد من المواقع في سورية مرتبطة بالمسيحية الأولى. القديس بولس كان قد التجأ إلى أحد البيوت في دمشق القديمة (الآن أصبح كنيسة). القديس سمعان أمضى ٤٢ عاماً من حياته على رأس عمود حجري قرب حلب. رفات القديسة نقلا، إحدى أول شهيدات الكنيسة، مدفونة على مسافة ٥٠ كم من دمشق في بلدة فريدة من نوعها تدعى معلولا. بلدة صغيرة اتخذت من موقع جميل متميز في سلسلة جبال القلمون معقلاً لها. فجأة، من الأركان والزوايا المتعددة للقريّة تعبر بشكل مفاجئ نحو السماء. البلدة شهيرة ببيوتها المبنية على شكل أقراص العسل. البيوت معلقة على جوانب الجروف الصخرية. العديد منها مطلّي باللون الأبيض والبنفسجي الزاهي. الألوان إجمالاً مغايرة للون الرمادي القاتم المائل إلى الصفرة الذي يميز القرى السورية.



#### دير مار سركيس - معلولا .

بالانعطاف يمينا عند أسفل الجبل نصل إلى دير القديسة تقلا. تقول الأسطورة بأن القديسة تقلا كانت من المعتقين الأوائل للمسيحية وأحد أتباع القديس بولس. كانت قد فسخت خطوبتها لتكرس نفسها لعبادة الله. خطيبها أراد الانتقام منها بالسعي لقتلها بشتى الوسائل، لكن محاولته كانت تبوء بالفشل في كل مرة نتيجة تدخل العناية الإلهية.

بالتالي، يعتقد بأنها لا بد وأن تكون قد اختبأت في أحد الجروف المجاورة حيث جرى بناء الدير الحديث. رفاتها مدفونة في الدير. إنه بناء متعدد المستويات. كنيسة الدير حديثة نوعاً ما وهي جميلة وتحتوي العديد من الرسوم على الجدران الداخلية للقبة. الدرج يؤدي إلى مكان استراحة القديسة تقلا. في هذا الدير نبع ماء مقدس حتى عند المسلمين. يقال بأن لمياه هذا النبع القدرة على شفاء العديد من الأمراض. الراهبات باللباس الأسود يطفن في أنحاء المكان كأنهن أطياف صامتة داخل هذا الدير الذي يستحوذ عليه جو من السكينة التامة.

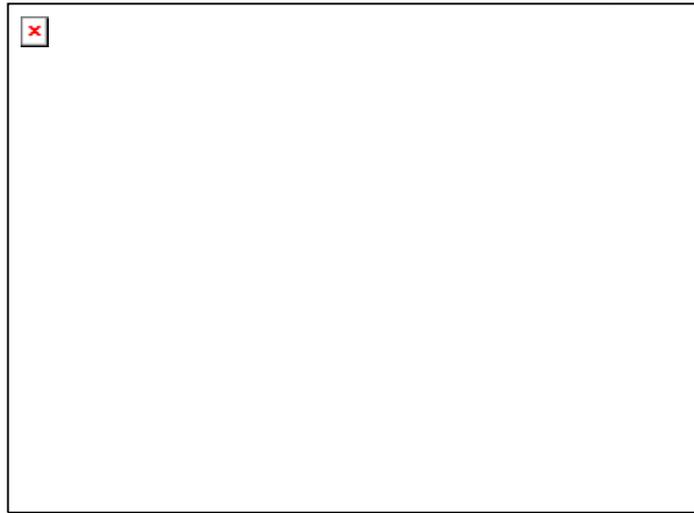
الدير الشهير الآخر هو دير القديسين سيرجيوس وبأخوس ويقع إلى يسار الشعب عند سفح الجبل. لقد أطلق عليه هذا الاسم تيمناً بالقديس سركيس (سيرجيوس)، وهو فارس سوري استشهد خلال حكم الملك مكسيموس عام ٢٩٧. أبناء المنطقة يطلقون عليه اسم مار سركيس. القبة الزرقاء أعلى الجبل تدل على المكان. الدير مبنى من الحجر. في داخله هناك لافتة على الباب تقول: "كنيسة". الكنيسة التي يناهز عمرها ١٧٠٠ سنة تحتوي على عدد من الأيقونات البيزنطية الجميلة. مذبح الكنيسة على غرار المذابح الوثنية، ولكن من دون تلك الفتحة التي يتدفق منها دم القرايين. (أبونا الذي في السموات) قال الكاهن توفيق عيد، ثم رتل الصلاة الإلهية بالأرامية. وسط صمت الكنيسة المهيب تناهت النغمات الرنانة للأرامية إلى أسماعنا وكأنها ترانيم الفيدا (ترانيم دينية مقدسة عند الهندوس). معلولا هي آخر معاقل اللغة الأرامية - لغة السيد المسيح. بلدة معظم أبنائها من الكاثوليك الإغريق، وقد حافظ أبنائها على تقليد

الآرامية حياً على مر الزمن. علماً أن أبناء الطائفة السريانية الأرثوذكسية يتحدثون ويصلون بالآرامية الغربية.

وراء جبال هذه البلدة المقدسة تتبسط بساتين الفاكهة وكروم العنب. من غير العسير معرفة سبب بقاء الآرامية لغة السيد المسيح حية في هذه المنطقة المنعزلة. بانزواتها في أحضان هذه الجبال، حافظت معلولاً على لغتها ونقائها من عبث الغزاة والطامعين.

لغة السيد المسيح كانت قد نشأت من أول أبجدية مسمارية مكتوبة مستخدمة في سورية. أوغاريت أو رأس شمرا كانت مدينة هامة على ساحل المتوسط منذ الألفية الثالثة قبل الميلاد. عصرها الذهبي كان بين القرن السادس عشر حتى القرن الثالث عشر قبل الميلاد.

في هذه الفترة كان القصر الملكي في أوغاريت واحداً من أكثر الصروح المعمارية شهرة وعظمة في غرب آسيا. المدينة كان فيها مكتبة، وهي المكان الذي عثر فيه على الرقم الفخارية المكتوبة. الكتابة على هذه الرقم معترف بها على أنها أقدم أبجدية معروفة. اعتمدت من قبل الإغريق ثم الرومان، ومنها اشتقت كافة الأبجديات المعروفة اليوم. هذا الموقع الهام قرب الساحل لم يعد لديه الكثير مما يقدمه على صعيد البناء والعمائر الأثرية. ما يشاهده المرء في هذا الموقع هو أساسات الأبنية القديمة - المدينة برمتها يمكن تخيلها من قواعد الحجارة والصخور المتبقية. إذا لم يكن المرء مهتماً أو متحمساً لرؤية الصخور المتناثرة هنا وهناك،



#### أوغاريت - أول أبجدية في التاريخ.

فلعله يجد العزاء في إمتاع ناظره بمشهد الزهور والرياحين المتفتحة المترافقة مع النسيم وسط الموقع. أوغاريت اليوم هي أشبه ببستان من الرياحين يوشح خلفيته مشهد الصخور المتناثرة. بيارات البرتقال وحقول الزيتون تحيط بالموقع من كل حذب وصوب. الحياة تعود لتضج في أسماعنا ونحن ننحني إجلالاً لأسلافنا الذي منوا علينا بنعمة الكلمة المكتوبة.



### وادي الزهور - أوغاريت.

في سورية هنالك حوالي خمسة عشر ألف موقع مصنفة على أنها مواقع تاريخية ذات قيمة أرشيفية. بالنتيجة، حيثما جالت عين المرء في هذا الجزء من العالم لا بد وأن تقع على شاهد من شواهد التاريخ! هذه المواقع والأماكن التي لا حصر لها تعطينا تصوراً لطبيعة الحياة التي عاشها أسلافنا: رؤاهم، أفكارهم، انتصاراتهم، مخاوفهم، وأخطاؤهم، من خلال بصماتهم التي حفظتها لنا آثارهم.

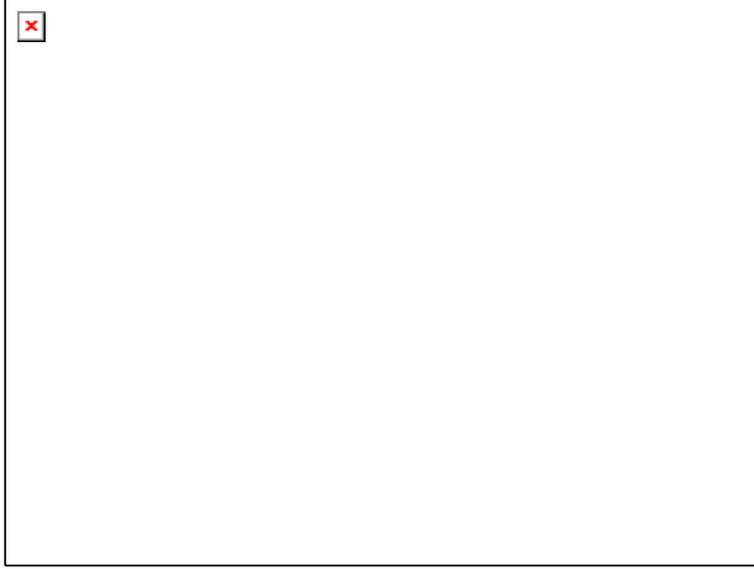


## العلاقات الهندية-السورية

### – من طريق الحرير إلى طريق المعلوماتية

تعد الطريق الدولية بين دمشق وحلب من أحسن الطرق في سورية. نادراً ما تجد نفسك بحاجة لاستخدام الفرامل، ولكن مع ذلك، عليك أن تتنبه لقدمك على دواسة البنزين، لأنها سرعان ما تغافلك لتتخطى عتبة المائة كيلومتر بالساعة المجازة قانوناً. في صباح يوم مشرق جميل كنا منطلقين عبر الطريق الدولية عندما اقتربنا من مدينة النواعير – حماة. وبينما كنا نتحدث عن الجوانب التاريخية لهذه المدينة الجميلة الفاتنة، لمحت زوجتي كلمة "إندিকা" على خلفية إحدى السيارات الحديثة التي كان يجري نقلها على متن حاملة مركبات. لم نكد نصدق أعيننا، ونحن نشاهد السيارة الهندية الصنع بالكامل أمامنا هنا في مكان لم نكن لنتوقع رؤيتها فيه على الإطلاق.

سيارة "إندিকা"  
على طرق سورية الدولية.



تملكنا إحساس متميز بالفخر. كنا نعرف من خلال كليهما، كتب التاريخ والمواقع المتعددة لطريق الحرير في سورية، أن تعاوناً وثيقاً كان يربط ما بين الهند والسوريين (أو الشعب الذي كان يقطن هذا الجزء من العالم المعروف ببلاد الشام). ولكن هنا، على هذا الطريق إلى حلب، تعرفنا إلى قطعة جديدة وصغيرة من تعاوننا العصري. الهند تصدر عدداً كبيراً من سيارات "إندিকা" إلى سورية، وكذلك العديد من سيارات "ماروتي" الهندية (٨٠٠ سيارة) التي شوهدت تجوب شوارع دمشق. علاقاتنا في الواقع تتخطى ما هو مدون في التاريخ، أو ما يسمى بالوثائق التاريخية. لقد أدهشنا وحرك مشاعرنا أكثر من مرة ما شاهدناه في سورية من شواهد للعلاقة المتعددة الجوانب بين الهند وسورية.

في وقت ما من أوقات التاريخ المبكر، قام الملك سلوقس نيكاتور بإرسال قواته إلى الهند من منطقة سورية الحالية وزف ابنته إلى الملك "تشاندر اغوبتا" حاكم سلالة غوبتا. في أيامنا هذه كان المهاتما غاندي من بين أول من تحدث عن حقوق الشعب الفلسطيني. كما أن العلاقة الوطيدة التي كانت تربط بين السيدة إنديرا غاندي والقائد الخالد الرئيس حافظ الأسد أسهمت إلى حد كبير في تعزيز أواصر التقارب بين البلدين.



- غاندي.. موضع احترام وتقدير لدى كافة السوريين -

إن القيام بزيارة لآثار تدمير القديمة الأسرة لأمر يبعث على الإلهام حقاً. هذا المركز التجاري كان بمثابة نقطة النقاء لشعوب من الشرق والغرب على مدى أكثر من ألفي عام، والتوابل الهندية كان يؤتى بها لتباع هنا. متحف تدمير الصغير والهام يسلط كثيراً من الضوء على هذا التبادل. عندما يشاهد المرء العديد من التماثيل، يشرح لنا الدليل العديد من الجوانب المتعلقة بالشعب التدمري: طعامهم، لباسهم ... الخ. أنظر إلى ذلك التمثال لوحد من أشرف القوم أو كهنتهم؛ يعتقد أن لباسه من الحرير الصافي الذي كان يستورد من الهند. التمثال الذي بلا رأس يرتدي شيئاً يشبه إلى حد بعيد منزر الرجال الهندي (الدوطي). واجهات المتحف تحوي أيضاً مجوهرات ومشغولات يدوية وحلياً نسائية من خلاخل وأساور التي مازال معظمها يستخدم حتى الآن في الهند ويمكن شراؤها من أي سوق من جاناباث إلى حيدر أباد. إن حقيقة أن سورية كانت على علاقة تعاون وثيقة مع العديد من المناطق في الهند ليست بحاجة إلى أي برهان. خريطة تفصيلية موجودة في المتحف الوطني على ضفاف بردى في دمشق تظهر العديد من المدن الهندية مثل كوتشين وكولهابور وغيرها من التي كان لها علاقات وثيقة مع سورية في العصور القديمة.



سوق الحميدية - تواجد هندي. تربط سورية بالهند.

**سوق الحميدية** في دمشق هو نقطة علامٍ بحد ذاته وشاهد حي على عدة قرون من التاريخ والفن والحضارة. خلال تجوالك عبر هذا السوق المزدهم تتسابق لشد انتباهك أصناف لا حصر لها من السلع من كافة أنحاء العالم، من الحجاب إلى العباءة إلى أغطية الطاولات الدمشقية فالتوابل والمكسرات وحتى الإلكترونيات والأزياء ذات الماركات العالمية يمكن شراؤها هنا. إنه مكان يضج بالفوضى داخل إطار من النظام الصارم؛ الأشياء تتحرك؛ الناس تشتري وتبيع؛ تأكل البوظة وتستمتع بالتسوق. وسط كل هذا، يظهر أمامنا رجل باللباس التقليدي الكامل. يحمل معه على كتفه أنية مزخرفة. يتناول كأساً من بين الكؤوس المرصوفة على حزامه يشد وسطه. ثم ينحني وتحنى معه الأنية ليصب في الكأس شراباً ما ذا رغبةٍ ويعرضه على المارة. ذكرنا هذا بباعة دلهي الذين يلازمون بوابة الهند في المساء مع الشاي والقهوة وغيرها. دفعنا الفضول لطلب كأس واحد فقط. صب لنا الكأس بحركات أشبه بحركات الساحر وقدمه لنا في غضون لحظات. لون الشراب كان داكناً نوعاً ما تلوّه بعض الرغبة. بدأنا نحتسيه بشيء من الخوف والتردد ودُهشنا لمذاقه العذب، لكننا لم نتمكن من معرفته.

"ماذا تسمونه؟" سألنا البائع.

أجاب: "تمر هندي".

"تماريندي؟"

"نعم، تمر هندي" (تمر من الهند).



- ما رأيكم بكاس من التمر الهندي؟

حققتنا اكتشافين في تلك اللحظة. الأول أن كلمة (تماريند) هي مفردة ذات أصول هندية. والثاني أن ثمرة التماريند الهندية (شجرة من الفصيلة البقلية) يجري تصديرها إلى هذا الجزء من العالم منذ قرون. كما أن سورية حتى الآن تستورد معظم احتياجاتها من التماريند من الهند. إنها شراب لذيذ مصنوع من التماريند وهو ذو شعبية كبيرة في سورية. في الهند لا نستخدم إطلاقاً شراباً كهذا رغم أن التماريند غالباً ما يستخدم في المطبخ الهندي.

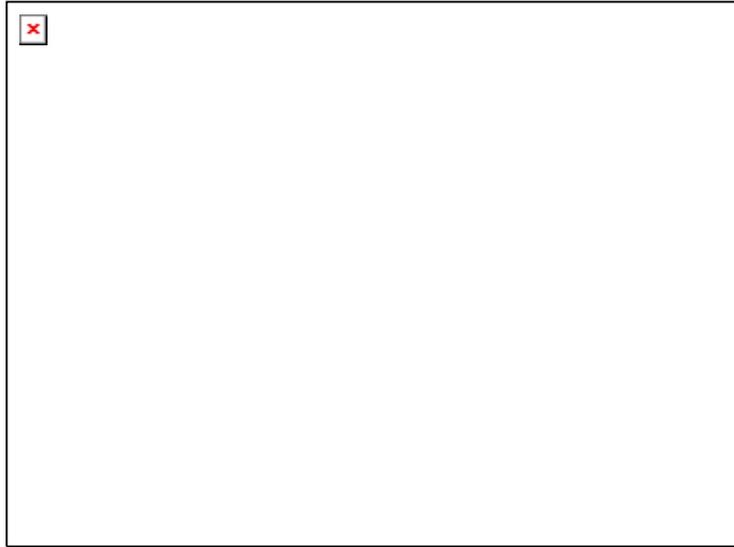
قيل لنا مرة بأن ما يباع في مومباي على أنه "باناراسي بان" (ورق الكوثل) يباع في باناراس على أنه "بامبايا بان". كذلك ما نشير إليه على أنه "كباب شامي" يوصف في بلاد الشام (سورية) بأنه كباب هندي. المؤرخون لا يوثقون رحلات المباحج المطبخية؛ ربما بعض السمات الأخيرة لعلاقتنا تذكر فيما إذا تم التحقق من هذا الطريق المطبخي أم لا. إنه طريق لا ينفصل بأي حال عن طريق الحرير وطريق التوابل.

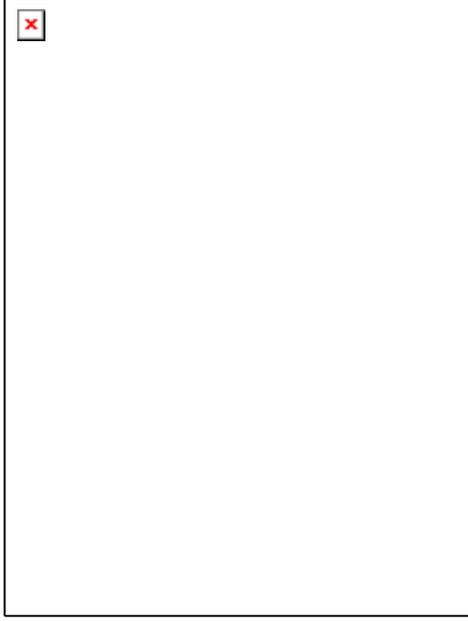
الروابط بين الهند وسورية يمكن أن يتم التعرف إليها بسهولة في السوق. النارجيلة (الهوكا) تتلأ بأشكال وحجوم عديدة في المحلات. "هذه جرى استيرادها من الهند"، أوضح لنا صاحب أحد الدكاكين عندما أبدينا إعجابنا بدقة صنعها وجمالها. فيما بعد تبيننا بأن معظم هذه النراجيل الدقيقة الصنعة مصنوعة في مدينتنا الحميمة مراد أباد بالذات. النراجيل تستخدم على نطاق واسع في المطاعم والبيوت في سورية.

في كوكبنا الآخذ بالصغر يوماً بعد يوم حيث باتت الهند لاعباً متنامياً فيه أصبحت سورية شريكاً تربطنا به أوثق الصلات. الشبكة المرئية لأبراج الاتصالات في سورية لها جانب هندي - معظمها مستورد من الهند. لسورية أيضاً قصة نجاح على صعيد الثورة الخضراء. وبوسع المرء أن يتبين وجود اليد الهندية هناك. عدد كبير من مضخات كيرلوسكار الهندية تستخدم لري مساحات واسعة من الأرض على ضفاف الفرات. هنالك العديد من الشركات العاملة في سورية حملت اسم الفرات. هنالك مصنع للجرارات يحمل اسم الفرات قرب حلب. هذا المصنع يستورد معظم قطع التبديل من شركة "بنجاب تراكتورز" قرب تشانديغار. "الفرات - هذه الكلمة تستحضر إلى الذهن

ذكريات كتب التاريخ للأطفال. عندما كنا ندرس عن مروره عبر بلاد الرافدين كنا جميعاً نتخيل جريانه، تماماً كما يتخيل السوريون جريان نهر الغانج. في العديد من اللقاءات كانوا يسألوننا عن "الغانج"، لاسيما عن طقس الاستحمام وغمر الجسد في مياهه المقدسة.

قرب مدينة دير الزور يدرك المرء أهمية العلاقات المعاصرة بين الهند وسورية. على مسافة ٧٥ كم من هذه المدينة الصحراوية، تقع حقول نفط الفرات الشهيرة التي تنتج حوالي ٢٧٥٠٠٠ برميل يومياً. شركة "شل" والشركة السورية للنفط هما المساهم الأكبر في اتفاقية الإنتاج المشترك. الاتجاه في الطريق التي تبدو لانهاية في الصحراء السورية المترامية الأطراف سرعان ما تقترب بك من أراضٍ مكشوفة بأنابيب طويلة وشعلات من اللهب. عليك اجتياز العديد من الحواجز الأمنية للوصول إلى مكتب حقول شركة الفرات. هنالك حوالي ٢٠٠ فني هندي يعملون هنا، حسبما أفادنا المدير. إنها مفاجأة. ولكن الأكثر إدهاشاً كانت المساهمة التي قدمها هؤلاء الفنيون الهنود لهذه الحقول. لقد كان الهنود هم من بنى هذه الحقول خلال الثمانينيات، ولا يزالون حتى اليوم يشكلون عمودها الفقري. "إنهم أمناء وأوفياء ومجدون. وفوق كل شيء، فهم متفهمون لعملهم جيداً. لا نستطيع الاستغناء عنهم" أخبرنا المدير الأجنبي "ديف" من المملكة المتحدة.





ومحطات الطاقة (أعلى) ↑  
حقول النفط (أسفل) ↓  
روابط هندية - سورية.

جرى تنظيم اجتماع مع الخبراء الهنود العاملين على أساس ٢٨/٢٨ هذا يعني أنهم يعملون لمدة ١٢ ساعة يومياً على مدى ٢٨ يوماً دون عطل. يعقب ذلك ٢٨ يوم عطلة يمضونها جميعهم في الهند. إنه عمل شاق لا طاقة لأحد به ربما سوى الهنود. هناك أيضاً "المركز الدولي للأبحاث الزراعية في المناطق الجافة" (إيكاردا) في موقعه قرب مدينة حلب والذي يدين بشهرته الحالية للجهود الدؤوبة للعلماء الهنود. هناك علماء هنود يعملون في هذا المركز منذ أكثر من عشرين عاماً. "الحمص"، الأكلة السورية الشهيرة، الذي

كان ينمو حتى الآن مرة في العام، بات منه أنواع عديدة اليوم تنمو على مدار العام. إنه يدعى "حمص ساكسينا" تيمناً باسم العالم الهندي "ساكسينا" الذي اكتشفه هنا في إيكاردا.

عندما يستقر المرء في سورية، يلاحظ بوضوح التأثيرات الهندية في كليهما اللغة والثقافة. ما نشير إليها على أنها الأعداد العربية، تدعى الأعداد الهندية في سورية.

هنالك العديد من القواسم المشتركة بين الهند القديمة والعالم العربي على صعيد العلوم والرياضيات والطب والأدب. إحدى زوجات الرسول الكريم محمد (ص) كانت تدعى "ابنة الهندي". "الهندي" هي لاحقة شائعة في سورية للكثير من الأسماء. جوز الهند، المشمش الهندي، التين الهندي، هي غيض من فيض الأسماء ذات الدلالات الهندية.

لقد أولى العرب اهتماماً خاصاً للفكر الهندي والفلسفة الهندية. الخلفاء العباسيون شجعوا على الدراسات والترجمات للكتب الهندية. حتى في الشعر الجاهلي هنالك كلمات مثل "الأبيض الهندي" وتعني السيف الهندي الحاد. الشعراء من أمثال امرئ القيس والنابغة الذبياني والأعشى غالباً ما يستخدمون هذه المفردة. السوريون، على غرار بقية العرب، يعرفون الهند ويكنون لها قدراً كبيراً من الاحترام كبلاد الحكمة والحكام العظام ونبع الفلسفة وعلم الفلك وكذلك مهد الملاحم العظيمة.

المكانة المتميزة التي تحتلها الهند في الأدب العربي واضحة من خلال الصور العديدة التي تبرز جوانب الحياة الهندية. ولايات ومدن وموانئ وأنهار وجبال الهند، وحتى نباتاتها وحيواناتها قد جذبت الكتاب العرب. الكتب السانسكريتية مثل "باننشانترا" وملاحم الرامايانا والمهابهاراتا قد أثرت على الأدب العربي. "باننشانترا" هي أصل كتاب "كليلة ودمنة" الذي نقله إلى العربية عن الفارسية الأديب ابن المقفع عام ٧٥٧ ميلادي.

الهند أيضاً لم تتردد في تعلم الأدب العربي واللغة العربية. الحكاية البطولية للتعلم المشترك مستمرة. هنالك المئات إن لم يكن الآلاف من الكلمات ذات الأصل العربي ليس فقط بالهندية، وإنما بلغات مثل الماراثي والتيلغو. هوا، مشكل، ممكن، مافي، سفر، غرور، شتاء، هي غيض من فيض الكلمات والمشتقات المشتركة بين العربية والعديد من اللغات الهندية. الكلمات العربية مثل حساب، باقي، عدد، هي كلمات مرتبطة بالحساب وهي شائعة الاستخدام في مناطق واسعة من الهند حتى يومنا هذا.

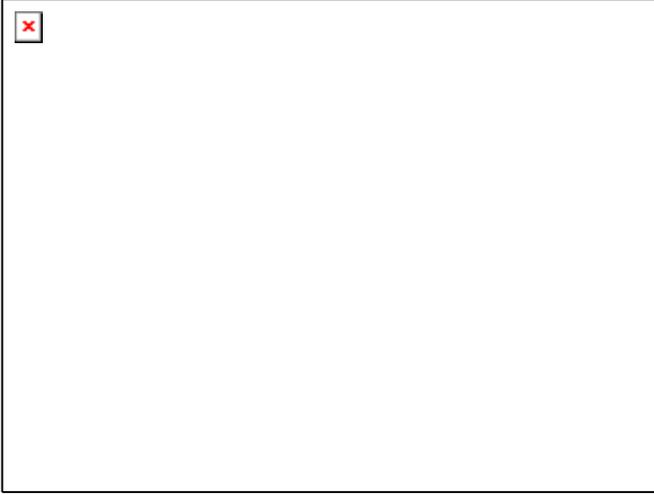


#### اللغة الهندية في دمشق - باب الصغير .

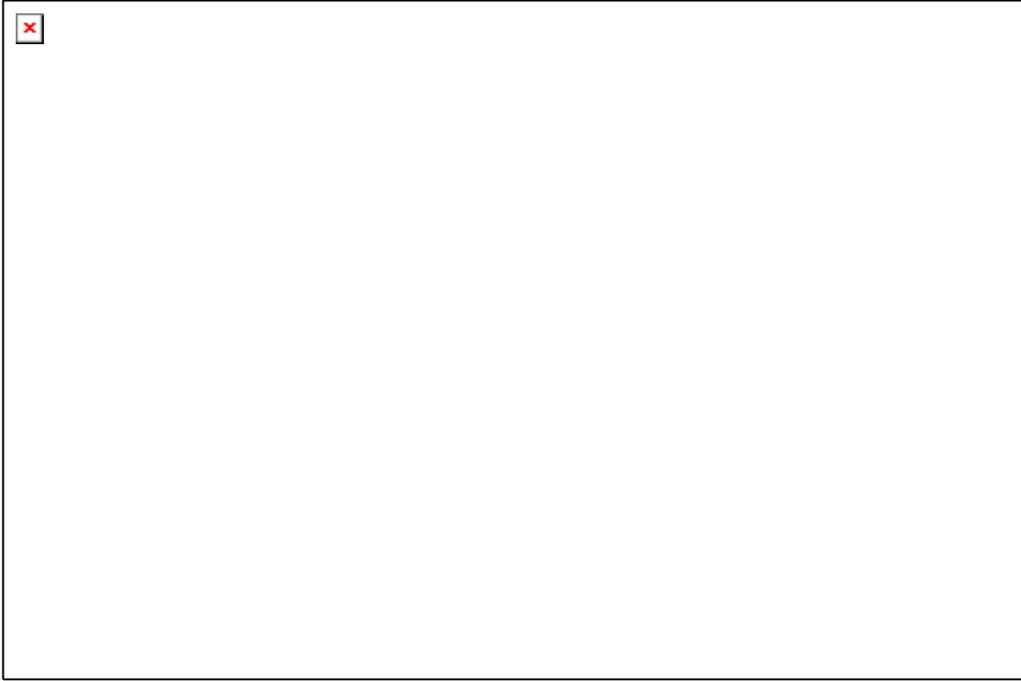
في الأزمنة الحديثة، ومع انتشار الثقافة والتكنولوجيا الغربية، تأثرت هذه الروابط من التواصل وفي نفس الوقت وجدت تعابير جديدة. العديد من الجامعات الهندية مثل آغرا وكيرلا وجاميا ميليا وألبغار الإسلامية وغيرها تقوم بتدريس العربية لمئات الطلاب اليوم. في منطقة السيدة زينب قرب دمشق (مزار ديني مكرس لحفيدة الرسول محمد صلى الله عليه و سلم) هناك حوزة إسلامية شيعية يدرس فيها حوالي ٢٠٠ طالب من الهند مختلف أنواع العلوم الدينية.

حوزة السيدة زينب

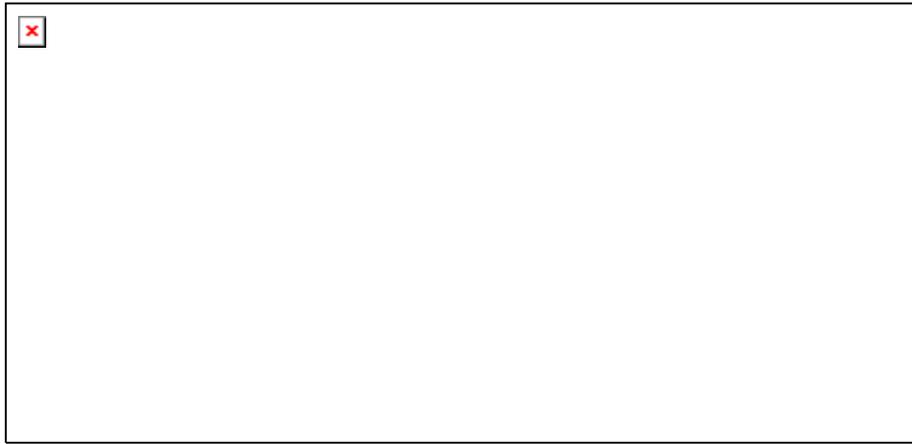
- مركز تعليمي -



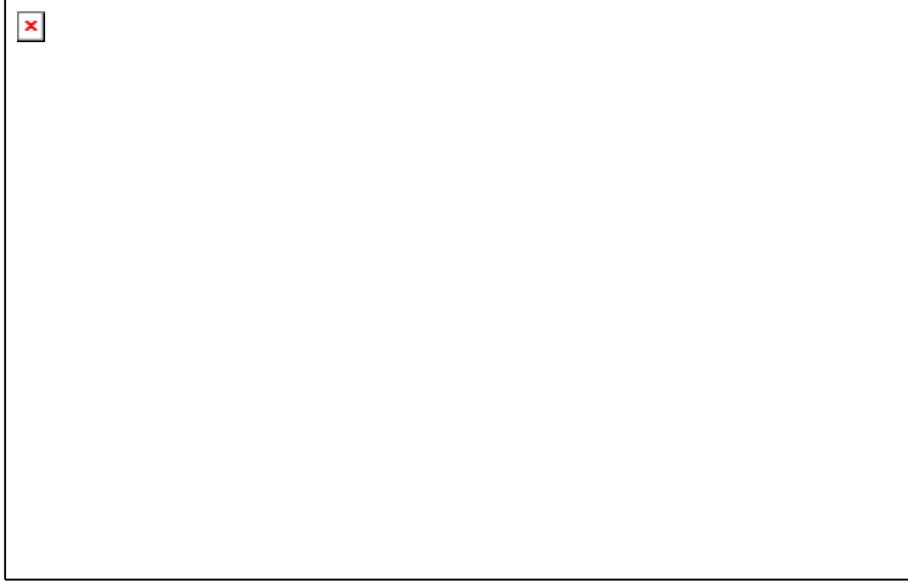
المساهمات السورية في المسيحية والإسلام هي أيضاً ذات أهمية كبرى. قبل انتشار المسيحية بوقت طويل عبر أوربا، قامت كنيسة إنطاكية، التي يقع مقر بطريركها الآن في صيدنايا قرب دمشق، بإيفاد عدد من المبشرين لنشر رسالة السيد المسيح في الهند. اليوم هنالك ثلاثة ملايين ونصف من أصل تسعة ملايين من أتباع الكنيسة المسيحية السريانية الأرثوذكسية يعيشون في الهند بأمان وطمأنينة، معظمهم في كيرالا. اللافت أن الكنيسة السريانية ناشطة أيضاً في الحفاظ على الأرامية، لغة السيد المسيح. هنالك في الهند أكبر عدد من الأساتذة الضليعين بالعربية. بطريرك الكنيسة الأرثوذكسية السريانية مار أغناطيوس زكا الأول عيواص زار الهند عام ١٩٨٢ وفي أيلول ٢٠٠٤. في كلتا الزيارتين التقى بالعديد من الشخصيات الهندية في الولايات الهندية الجنوبية والتقى كذلك رئيس الوزراء ورئيس الجمهورية.



رسل الخير - دمشق (مؤسسة الأم تيريزا).



ساحة الأم تيريزا - حلب.

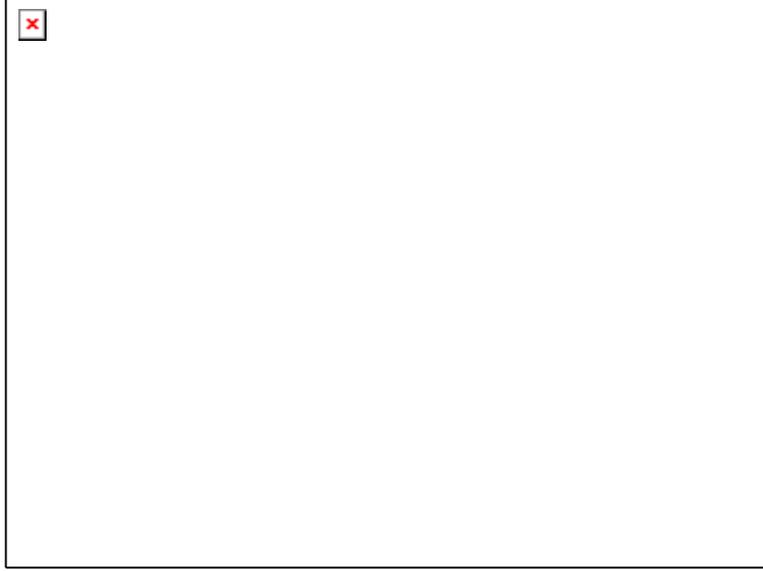


#### – الكنيسة الأرثوذكسية السورية –

اليهود عاشوا في الهند على مدى أكثر من ألف عام ويشكلون ثلاث جماعات بشكل رئيسي: "بنو إسرائيل" الذين يعيشون في كونكان و"الكوتشيني" الذين يعيشون حول كوتشين و"البغداديون" الذين يعيشون في كالكوتا. البغداديون كانوا من بين التجار اليهود القادمين من العالم العربي. شارون بن آرون أوبادياغ ها-كوهين، أول بغدادي يستوطن في الهند، وصل إلى بومباي قادماً من حلب عام ١٧٩٠ واستقر في كالكوتا عام ١٧٩٧. صهره موشيه كوهين يعتبر مؤسس الجالية البغدادية في كالكوتا. بعدها، تأسست مجموعة رئيسية من البغداديين في مومباي – جاءت عبر سورات. ثقافة اليهود البغدادية كانت أساساً عربية بلغتها وتقاليدها وزبها وحافظت على هوية متميزة. في سورية يصادف المرء الهند في أماكن عديدة – هنالك الكثير مما يطغى عليك على هذا الصعيد. عابرو السبيل على الطرق السورية غالباً ما يحيونك بعبارة "تاماستيه" في بادرة من حسن النية. العديد من السوريين الذين عملوا في الخليج وتعاملوا مع هنود – قد يرفعون صوتهم في وجهك مستخدمين عبارات مثل أمير خان، أميتاب، ريكها، أو أيشوارا روي أو كاييس هو، تيك هاي؟ ناهاي ناهاي ... في تلك اللحظة يحققون تواصلًا – رغم كونه قصيراً وعابراً.

الأفلام الهندية هي خير دبلوماسي مكرس لخدمة الهند. لقد نقلت بوليوود الهند إلى كل مكان من العالم متجاوزة حدود الدين والأيديولوجيا واللغة. إذا كان راج كابور معبود الجماهير في روسيا وراجني كانت معروف في أنحاء اليابان، فإن عامير خان يجعل السوريين يحبسون أنفاسهم. شامي كابور والمقطع الراقص من أغنيته "آيايا كارون ماين كيا سوكو سوكو" من فيلم "جانغلي" أيام الستينيات شكل فورة منقطعة النظير في أوساط من تجاوزوا الخامسة والأربعين هنا. خلال الستينيات عرض هذا الفيلم بشكل متواصل لمدة تزيد عن عام كامل في صالة سينما الأهرام بدمشق! أميتاب باتشان، مادهوري ديكشيت، أكشاي كومار هي من الأسماء الجارية على كل شفة ولسان. "الأفلام الهندية تقدم نوعاً من الارتياح وتطهير العواطف من كل ما يجهد النفس في حياتنا المعاصرة"، قال لنا أحد أصدقائنا المسؤول عن تحرير إحدى المجالات

الشهرية بالإنكليزية. العديد من السوريين لا يتمالكون دموعهم وهم يتابعون المواقف الدرامية لأبطال وبطلات الأفلام الهندية التقليدية.



- العلامات الجبهية الهندية على جباه سورية -

الملابس الملونة والرقصات وتصوير العواطف تضرب على الوتر الحساس في قلوب السوريين.

المعلومات الرسمية تخبرنا بأن الهند وسورية هما صديقان حميمان؛ هنالك تبادل منتظم عالي المستوى للزيارات والتجارة المتنامية. حكومة الهند قدمت قرصاً انتمائياً لسورية. الجالية الهندية في سورية تزيد عن ستمائة شخص. نحن نسعى لبناء جسور تواصل من خلال تكنولوجيا المعلوماتية عن طريق إشراك سورية بمهاراتنا ومعرفتنا على هذا الصعيد. منذ أيام طرق التجارة القديمة عبر المساحة الشاسعة التي تربط ما بين بلدينا بلا انقطاع، حتى طريق اليوم الافتراضي هنالك آفاق من المشاركة المتنوعة في ما بيننا بانتظار أن تنمو وتزدهر.



## سورية - معلومات وحقائق

الاسم	: الجمهورية العربية السورية
العاصمة	: دمشق
المساحة	: ١٨٥، ١٨٠ ألف كيلومتر مربع.
المحافظات	: دمشق، ريف دمشق، حمص، حلب، حماه، اللاذقية، طرطوس، درعا، دير الزور، إدلب، السويداء، الحسكة، القنيطرة، الرقة.
المدن الرئيسية	: دمشق وضواحيها (٤,٥ مليون) حلب (٤,٢٧ مليون) حمص (١,٦٦ مليون) حماه (١,٦١ مليون) اللاذقية (١,٠٣ مليون).
السكان	: ١٧,١٣ مليون نسمة حسب إحصاء ٢٠٠٢م.
نسبة النمو السكاني	: ٢,٤٥% سنوياً.
العملة	: الليرة السورية. الدولار = ٥١,٧٠ ليرة.
اللغة الرسمية	: العربية.
لغات أخرى	: الكردية، الأرمنية، التركية والسريانية.
التوقيت	: شتاءً: ٢+ حسب توقيت غرينتش. صيفاً: ٣+ حسب توقيت غرينتش

## رئيس الدولة وبعض الحقائق الوزارية الأساسية:

رئيس الدولة	: الدكتور بشار الأسد.
رئيس الحكومة	: المهندس محمد ناجي عطري.
وزير الخارجية	: السيد فاروق الشرع.
وزير الاقتصاد والتجارة	: الدكتور محمد عامر لطفي.
وزير الصناعة	: الدكتور غسان طيارة.

## مواقع هامة على الإنترنت:

### الدستور والانتخابات:

دخل الدستور الحالي حيّز التنفيذ عام ١٩٧٣ وهو يصنف سورية دولة ديموقراطية اشتراكية ذات سيادة.

الانتخابات الرئاسية تجري مرة كل سبع سنوات (آخر انتخابات جرت عام ٢٠٠٠).

**البرلمان** ذو مجلس واحد تحت اسم "مجلس الشعب" وهو مكوّن من ٢٥٠ نائباً. الانتخابات البرلمانية تجري مرة كل أربع سنوات والحد الأدنى لسن الترشح للانتخابات هو ١٨ سنة. حزب البعث العربي الاشتراكي إلى جانب ستة أحزاب أخرى تشكل الجبهة الوطنية التقدمية. الأحزاب الستة هي: حزب الوجوديين الاشتراكيين العرب، الحزب الوجودي الاشتراكي، الحزب الشيوعي، الحزب الديموقراطي الاشتراكي، الحزب الاشتراكي العربي (قدسي) وحركة الاشتراكيين العرب.

عضوية سورية في المنظمات الإقليمية والدولية:

سورية هي عضو في منظمة الأمم المتحدة، وشغلت مقعد العضوية غير الدائمة خلال الفترة من ٢٠٠٠-٢٠٠٣. وهي أيضاً عضو في حركة عدم الانحياز والجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي.

### الاقتصاد:

السمة الأساسية للاقتصاد السوري هي أنه اقتصاد ذو تخطيط مركزي خاضع لسيطرة الحكومة والقطاع العام. إجمالي الناتج المحلي يقدر بحوالي ٢١ مليار دولار (٢٠٠٢) تسهم فيه الزراعة بحوالي (٢٦%) وتجارة الجملة والمفرق بحوالي (١٦%) والتعدين والتصنيع (٢٧%) والنقل والمواصلات (١٣%). قانون الاستثمار الجديد رقم (١٠) لعام ١٩٩١ يشجع الاستثمارات الأجنبية والعربية والسورية من خلال سلسلة من الإعفاءات الضريبية والتسهيلات الجمركية والمصرفية. النجاح الأولي للخصخصة رفع معدل النمو إلى ٧,٥% خلال الفترة من ١٩٩٠ حتى ١٩٩٥. مؤخراً تم افتتاح عدد من المصارف الخاصة في سورية.

### الجامعات والمعاهد العلمية الرئيسية:

جامعة دمشق، دمشق

جامعة تشرين، اللاذقية

جامعة البعث، حمص

جامعة حلب، حلب

الجامعة الافتراضية السورية، دمشق  
مركز التعليم المفتوح، دمشق

## المواقع السياحية الرئيسية:

**دمشق** هي أقدم مدينة مأهولة باستمرار في العالم، من أهم المواقع السياحية فيها الجامع الأموي، المتحف الوطني، قصر العظم، مقام السيدة زينب، الكنائس القديمة وغير ذلك. هنالك أيضاً متاحف أخرى مثل متحف الطب العربي ومتحف الخط العربي في دمشق والمتحف الإثنوغرافي في تدمر. مدينتا تدمر وبصرى: تحويان آثاراً رومانية قديمة بينما تحوي عدد من المدن السورية الأخرى عدداً من القلاع والحصون والمتاحف القديمة. أهم هذه القلاع قلعة حلب وقلعة الحصن قرب حمص.

## الصحف والمجلات والقنوات التلفزيونية الرئيسية:

الوكالة العربية السورية للأنباء (سانا) وهي وكالة رسمية.  
صحف البعث وتشرين والثورة (بالعربية) وصحيفة سيريا تايمز (بالإنكليزية).  
التلفزيون السوري (القناة الرئيسية، القناة الثانية، القناة الفضائية).



## المحتويات

### الإهداء

### نبذة عن المؤلفين

### كلمة المؤلفين

### أولاً وسهلاً: رحلة في أنحاء سورية

### الأرض والتاريخ – تنوع وعراقة

مشهد متنوع

الخط الساحلي

الصحراء الشرقية الكبرى

ماضٍ متعدد الجوانب

الفصول الأربعة

### المدن (عجائب الماضي تتألق من جديد)

دمشق – سرٌّ يتكشف

حلب – مدينة التواصل بين الماضي والحاضر

مدينة حلب القديمة هي مدينة ساحرة فعلاً.

القنيطرة: لقطة من التاريخ

حمص – مدينة الابتسامات

دير الزور – بوابة الفرات العظيم

اللاذقية – منارة المتوسط

### المجتمع والثقافة – نماذج معقدة

الوحدة في التنوع

السيناريو الحالي

المطبخ السوري

الفنون والمهن اليدوية

### مواقع تاريخية ماضية حاضرة

### العلاقات الهندية-السورية – من طريق الحرير إلى طريق المعلوماتية

### سورية - معلومات وحقائق

رئيس الدولة وبعض الحقائق الوزارية الأساسية

مواقع هامة على الإنترنت:

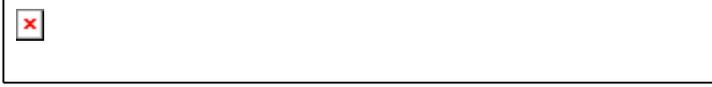
الدستور والانتخابات

الاقتصاد

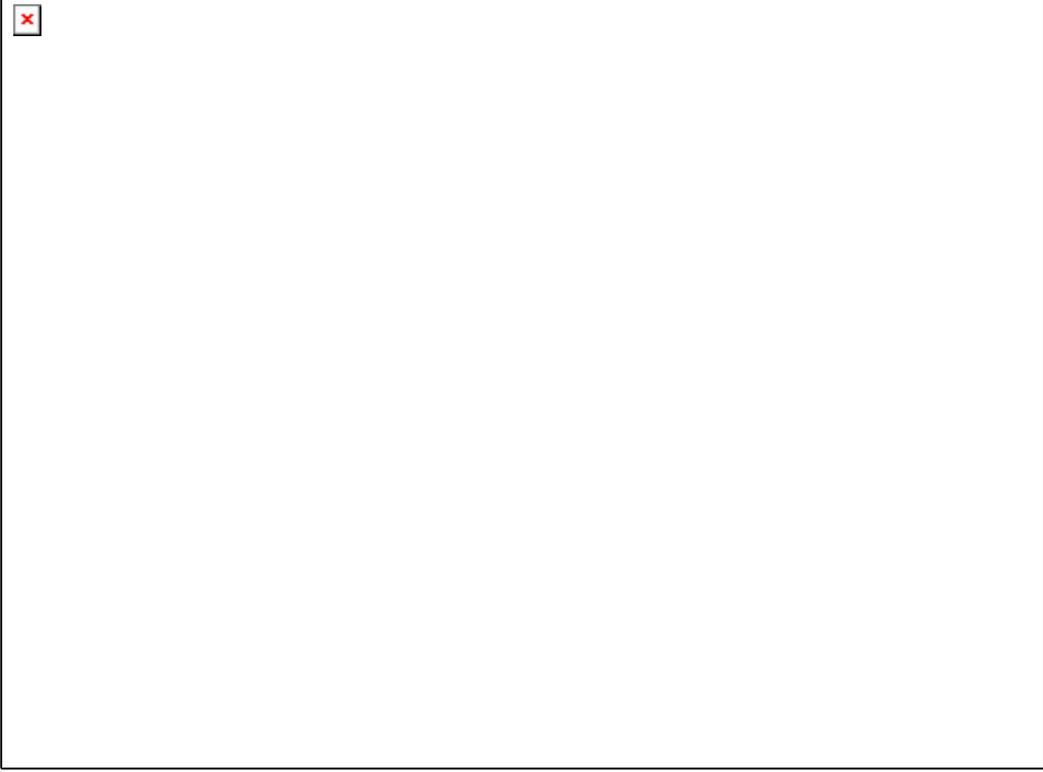
الجامعات والمعاهد العلمية الرئيسة

المواقع السياحية الرئيسية

الصحف والمجلات والقنوات التلفزيونية الرئيسية



## فهرس بأماكن الصور



الغلاف الأمامي: ٤٠٩ ch1



الغلاف الخلفي: ٢١١ ch6



– المؤلفان في ظل شجرة زيتون يناهز عمرها ٥٠٠ عام–جامعة دمشق –  
من اليمين إلى اليسار السيدة سادها شانكر ، السيد داينيشوار موليه (الصور بعدسة المؤلفين)

